محاولات اغتصاب اللغة ومحو الذاكرة

ترقيعٌ بخيطِ التّراثِ..!!

حابل المثقف... ونابل المتطرف

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق — 12 صفحة

العدد: «1813» الأحد 2023/4/2م - 11رمضان 1444 هـ — 200 ل.س

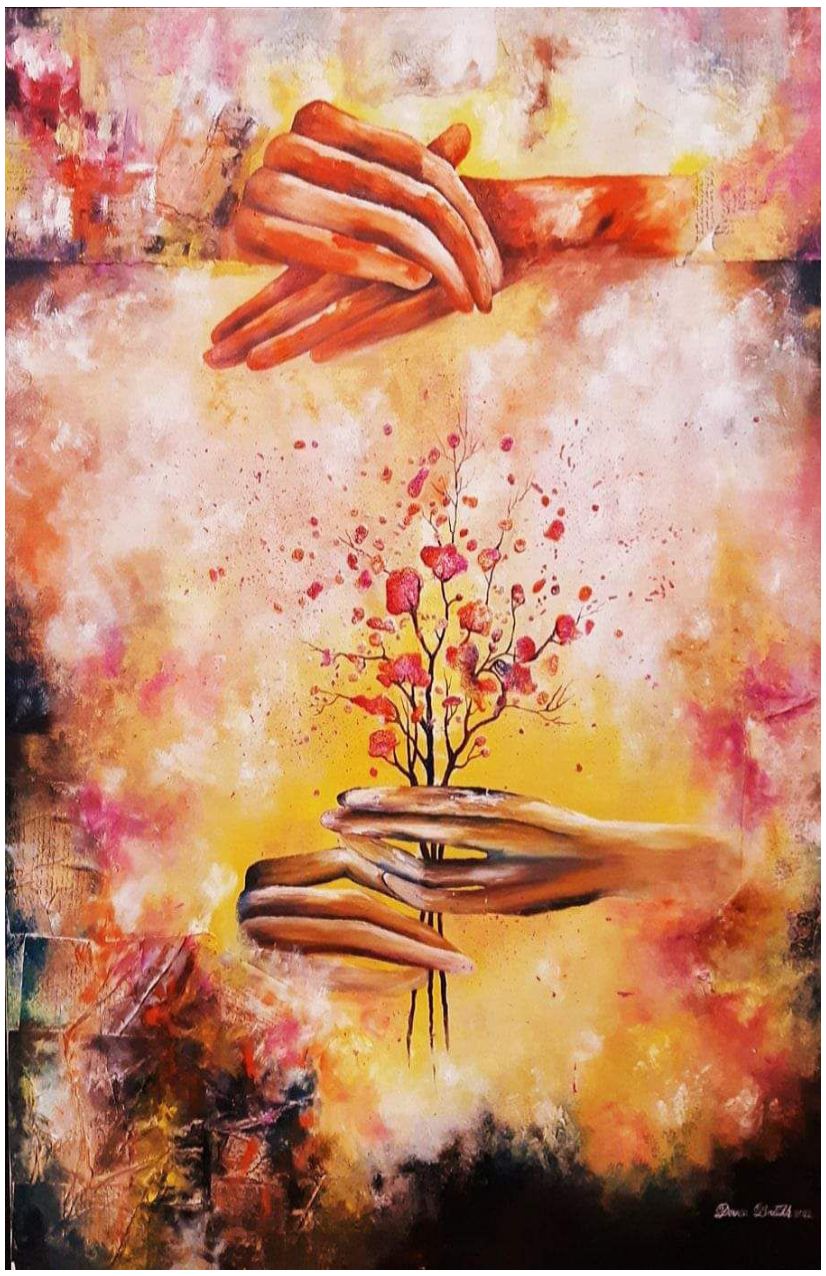

كتبها: د. محمد الحوراني

سورية بينَ تطبيع العلاقات وتصعيد الاعتداءات

في الوقت الذي ازدادتْ فيه الاعتداءاتُ الصهيونيةُ على الأراضي العربية السورية، وغدتْ شبهَ يوميّة، أقدمتْ قواتُ الاحتلال الأميركيّ على إدخال عشرات الآليّات العسكريّة والحاويات من شمال العراق إلى قواعدها في الجزيرة السورية، عَبْرَ معبر الوليد بريف الحسكة.

وتُؤكّدُ المعلوماتُ أنَّ «رتلاً للاحتلال الأميركيّ مُؤلّفاً من ستين آليّةً، بينها شاحناتٌ مُحمَّلةٌ بحاويات أسلحة وذخائر ومُدرّعات عسكرية مُتطوّرة، إضافةً إلى أربعين صهريجاً لسرقة النفط، تُرافقُها ثلاثُ عربات عسكرية دخلت الأراضي السُّوريّةَ عَبْرَ معبر الوليد غير الشرعيّ.

وتَوجَّهَ الرتلُ إلى بلدة اليعربيّة، قادماً من قواعد الاحتلال في العراق، ومنها إلى قواعده التي أقامَها في الجزيرة السورية، حيث تُفْرَزُ هذه الإمداداتُ لدعم ميليشيا قُوّات سورية الديمقراطيّة «قسد» المُرتبطة به من جهة، وتسليح المجموعات الإرهابيّة التابعة لهُ قُربَ قواعده في الجزيرة وفي منطقة التنف بريف حمص الشرقيّ من جهة ثانية، ويستخدمُها لتنفيذ اعتداءات على التجمُّعات السكنيّة والبنى التحتيّة للدولة ومواقع الجيش العربيّ السُّوريّ، وهو ما يُؤكّدُ تقاسُمَ الأدوار بين المُحتلَّيْن الصهيونيّ والأميركيّ وحرصهما على الاستمرار في إضعاف سورية، والنَّيل منها، وسرقة مواردها، بعيداً عنَ المُحاولات التي تجري هُنا وهُناكَ للعودة بسورية إلى دورها العربيّ والإقليميّ والعالميّ، ولمّا كانت الإدارةُ الأميركيّةُ غيرَ راضية عن التقارُب السُّوريّ العربيّ، والسوريّ الدوليّ، فإنها لن تدّخرَ جهداً في سبيل خَلْط الأوراق وإشعال الحرائقَ داخلَ سورية. وليس مصادفةً أن تتزامنَ الاعتداءاتُ الصهيونيةُ معَ هجمات للقُوى الإرهابيّة في ريفَيْ إدلب وحلب على الجيش العربيّ السُّوريّ، الذي أحبطَتْ وحداتُهُ هجوماً للإرهابيّين في غرفة «الفتح المُبين» التي تقودُها جبهةُ «النصرة» في ما يسمى جبهة «الدانا»، وهذا ما كبَّدَهُم خسائرَ بشريّةً وعسكريّة، وذلكَ بعدَ أن اشتبكتْ وحداتُ الجيش العربيّ السُّوريّ في أواخر شهر آذار الماضي بالأسلحة الثقيلة والمُتوسّطة مع مجموعة من الإرهابيّين حاولت التَّسلُّلَ إلى مواقع الجيش العربيّ السُّوريّ، في محور الرويحة في جبل الزاوية جنوبيّ إدلب، وسبقَ هذا تنفيذُ إرهابيي الفرع السُّوريّ للقاعدة عمليّتَين انغماسيّتَين في محور الفطاطرة جنوبيّ إدلب، بعدَ أيام من إفشال هجوم لهم في محور نحشبا شمال اللاذقية، وهو ما يُؤكّدُ رغبةَ الإرهابيّين في تصعيد الموقف وإشعال الجبهات، رغبةً منهم في عرقلة الجهود الرامية إلى العودة بسورية إلى مكانتها الطبيعية عربيّاً وعالميّاً، واستعادة قُوّتها، والعمل على إعادة بناء ما دمّرَتْهُ الحربُ الإرهابيّةُ والاعتداءاتُ الصهيونيّة.

وهو ما أكدته صحيفة «معاريف» الصهيونية التي وصفت عودة سورية إلى التقارب مع بعض الدول العربية بـ«الشرق الأوسط الجديد»، منطلقة في هذا من إمكانية دعوة المملكة العربية السعودية الرئيس السوري بشار الأسد لحضور القمة العربية التي ستعقد في الرياض في أيار ٢٠٢٣، مؤكدة أنّ مُشاركة السيّد الرئيس في قمة جامعة الدول العربية، ستمثل «تطوراً مهماً» في إعادة العلاقات بين سورية والدول العربية منذ عام ٢٠١١، وهو ما «يعكس تغييراً في الموقف الإقليمي تجاه سورية».

ورأت الصحيفة أنّ زيارة وزير الخارجية فيصل المقداد إلى القاهرة تهدف إلى وضع خطوات لعودة سورية إلى جامعة الدول العربية بوساطة مصر والسعودية.

هذه الرؤية الصهيونية تتقاطع إلى حد كبير مع الرؤية الأمريكية في هذا الشأن، فقد ذكر معهد «ستيمسون» الأميركي للأبحاث، في تقرير نشره منذ أيام قليلة، أنّ «التقارب السعودي السوري علامة جديدة على التحول السعودي وفوز للدبلوماسية الروسية»، مشيراً إلى أنَّ «الاتفاق السعودي السوري في موسكو يمثل فوزاً كبيراً للسياسة الخارجية الروسية، بعد أسابيع فقط من توسط الصين في اتفاق مماثل بين السعودية وإيران».

وأكّد المعهد أنّ «الحديث عن تخطيط السعودية لإعادة فتح العلاقات الدبلوماسية مع سورية، جاء في أعقاب الإعلان عن صفقة بوساطة صينية لتطبيع العلاقات بين السعودية وإيران»، ما يعني أنّه «بالإمكان النظر إلى هذا التطور ضمن سياق دبلوماسية الكوارث الطبيعية، بعيداً عن الاعتماد على الولايات المتحدة».

هذه الرؤية الصهيونية الأمريكية لتطور العلاقات السورية ـ العربية، يعني فيما يعنيه، أنّ الكيانَ الصهيونيّ سيعملُ على زيادة الاعتداءات على الأراضي السورية، في الوقت الذي تشهدُ فيه الأراضي الفلسطينيةُ المُحتلّةُ كافّةَ حالةً من التصعيد وزيادة الفعل المُقاوم، وهو تصعيدٌ يترافقُ معَ حالة الغليان التي تشهدُها الأراضي التي يحتلُّها الصهاينةُ ضدَّ نظامهم العُنصريّ الفاسد؛ بعدَ خروج عشرات التظاهرات الرافضة لحكومة الاحتلال ولما تقومُ به من تعديلات قضائيّة داخلَ الكيان.

وإذا كانَ ثمّةَ تكهُّناتٌ، حتّى داخلَ الكيان الصهيونيّ، تذهبُ إلى أنّ وُجودَهُ غدا مسألةَ وقتٍ، فإنّ أحداثَ التاريخ ومُجرياته تُؤكّدُ أنَّ الاحتلالَ لا يُمكنُ أن يزولَ إلّا بتصعيد الفعل المُقاوم وتصاعُده، بل إنَّ هذا الوجودَ لا يُمكنُ أن ينتهيَ إلّا بتضافُر جُهود الجميع ووقوفهم صفّاً واحداً في وجه المُحتلّ الصهيونيّ، الذي ما فتئَ يستبيحُ الأرضَ، ويقتلُ الأبرياءَ هُنا وهُناكَ.

وإذا كانت الاعتداءات الصهيونية الأخيرة على دمشق ومحيطها وغيرها من المحافظات السورية، قد أدت إلى إصابات في صفوف الجيش العربي السوري، وإلى استشهاد اثنين من المستشارين الإيرانيين العاملين في سورية، فإن هذا يجب أن يكون دافعاً قوياً للثأر من الاحتلالين الصهيوني والأمريكي، من خلال زيادة العمليات التي تستهدف القواعد العسكرية الأمريكية، ومن خلال عمليات استشهادية من شأنها أن تعجل بنهاية هذين الاحتلالين، ومنها قصف القواعد الأمريكية والتجمعات العسكرية الصهيونية، سواءً في قاعدة التنف على مُثلّث الحُدود العراقيّة ـ الأردنيّة ـ السوريّة، أو في قواعد حقل العمر شرق الفُرات حيث آبار النفط والغاز السوريّة المُحتلّة أمريكيّاً التي تتم سرقة النفط منها، وتصديره إلى بعض الدول المعادية لسورية ومنها الكيان الصهيوني، صحيح أن ثمة عمليات استهدفت الاحتلال الأمريكي وأوقعت قتلى وإصابات في صفوفه، إلا أن المطلوب زيادة وتيرة هذه العمليات لتكون قادرة على إضعاف الوجود الأمريكي بل إنهاء هذا الوجود في المنطقة.

لقد آنَ الأوانُ للتَّصدّي للمُحتلّ الصهيونيّ ووَضْع حدٍّ لما يقومُ به من اعتداءات تُدمّرُ البُنيانَ والإنسان.

لوحتان للفنانة التشكيلية دعاء فاضل بطيخ

فلمَّا ركبَ في السَّفينة خَرَقَها

كتب: د. يوسف العمر

إنَّ الفطرةَ الإنسانيَّةَ المعتدلةَ، والطبائعَ السَّويَّةَ، تطرح الخطأ، وتمجُّه، وتعافه، وتنكرُهُ، وإن تولَّاه من ليس الخطأ معهوداً في طبيعته، أو نابتاً في سجيَّته، وهكذا رُكِّبت فطرت النَّفس البشريَّة= وهكذا كلَّف الله سبحانه الإنسانَ بحمل رسالته السَّماويَّة= واستخلفه في الأرض ليثيرها ويعمرها بما ينفع النَّاس، وهذا حسبُه وزيادة.

ولكن من العجائب ــ والعجائبُ جمَّة كما يقولون ــ أن يجرِّدَ المرء فأسه العتيقةَ ليخرق السَّفينةَ عمداً وهو يعلم أنَّ على ظهرها ذريتَه ونسلَه، تلك هي اللغة التي لا يشكُّ عربيٌّ عاقلٌ أن لا عاصمَ له سواها، ولا سيَّما في طوفان الأفكار المدخولة، والسوس المضطرب، والعقول المخدوجة التي جردَّت ألسنة حداداً للطعن والتجريح في ميراث ممتدٌّ على غير بصيرة وبيان، وذلك بدعوى (التَّجديد) الأثيمة التي جلبت على الجيل بخيلها ورجلها مجالبَ السُّوء، وغشي الناسَ من آفاتها غشاوةٌ خلطت الحقَّ بالباطل، وأدخلت الناسَ في ظُلُمات بعضُها فوق بعض، وماهي في حقيقتها إلا كما قالَ المعرِّي:

يستحسنُ القومُ ألفاظاً إذا امتُحنَت
يوماً، فأحسَنُ مَنها العَيُّ والخَرَسُ

نعم، ورحم الله أبا العلاء، فلو أطلَّ برأسه من قبره لثوان؛ ليرى ما أحدث الناس من بعده، لفضَّل المقام حيثُ هو، بدل أن يقرأ أو يسمع هذه الخرفشات كما يقول ابن خلدون، التي يسمونها (تجديداً)، وما هي إلا محضُ نفاجة وتقليد.

ودَعْ عنك هذا وتعالَ نتكلم على طرف محدَّد من هذا الحديث الذي يكرب النفسَ، ويأخذ بأكظامها على وفق تعبير الجاحظ؛ فمن المسلَّم به أن النحو العربي عماد العربية وأساسها، وأكسير المعاني الجائلة في الأذهان، والمتخلجة في الصدور، وما أحدث أهل التجديد والمولعون بالأوابد خلافاً حول علم من العلوم كمثل ما أحدثوا حول هذا العلم الشَّريف الذي قال عنه الزُّبيريُّ: (ما أحدثَ النَّاسُ مروءةً أحبَّ إليَّ من طلب النَّحو)، نعم هو مروءةٌ، وما قرأتُ ولا سمعتُ وصفاً أعزَّ من هذا وأنبلَ، وكيف لا يكون مروءةً وقد أنزل الله سبحانه على رؤوس أصحابه قرآناً عربيّاً غير ذي عوج، ولكن قلنا من قبل: هو الولع بالغرائب والعجائب، ومن جهل استوحش على وفق تعبير أبي بكر بن السَّرَّاج.

وهنا أريد أن أتمَّ هذه الكلمةَ في تجديد النَّحو، ونطوي صفحةَ التَّبديد، فالنَّحو علمٌ مقتبسٌ من فطرة الإنسان العربيِّ في ذلك الزَّمن السَّحيق، الذي تجدُ فيه الرَّاعيَ الجلْفَ والعبدَ الذي تنبو صورتُه/ يتحرَّى الصَّواب، ويأنفُ الخطأ كما يأنف أن تَغيرَ على ماله وأرضه وعرضه، المهمُّ أنَّ هذا العلمَ انتهى إلينا بعد نظر واستقراء في كلِّ ما قالته العرب الموثوق بعربيتها، ثمَّ نزل القرآن متوِّجاً لهذا الاستقراء والتَّدقيق، فثبتت أركانُ هذا العلم، وأصبح ضارباً بجرانه، تحيط قواعدُهُ بأقطار الكلام العربيِّ من أقصاها لأقصاها.

ثمَّ أتى على النَّاس حينٌ من الدَّهر، وقد جاءَ من يريد أن يجدِّدَ لهم أمرَ علومهم وهو عن ذلك بمنقطع التُّراب، لا يحسن قراءةَ سطر من سيبويه بلَهْ فهمَه، فلم يجدوا إلا طريقَ البتر المضلِّل، وحسبي وحسبُك أن تُرجعَ النَّظر في محاولات التَّجديد أوَّلها وآخرها متجرِّداً من العصبيَّة والهوى، فلن تجدَ غير ما ذكرتُه لك، من حذف أبواب اطَّردَت شواهدها في الشِّعر والقرآن، أو تجدَ آخرَ يدعو إلى إلغاء نظريَّة العامل النَّحوي، ويكفي مدعيها عيباً أن يضع المتكلِّمَ بديلاً لها، وهو يعلمُ أنَّها فكرة ابن جنِّي الذي اتُّهم جيلُهُ وأضرابُهُ وأترابُهُ أنَّهم حجَّروا واسعاً، وما جاؤوا إلا بالكآبة والسَّأم! والمرءُ إذا توحَّد به العُجْبُ أهلكه وأورده موارد السَّوء.

وهنا يحقُّ للقارئ الكريم أن يسألَ السُّؤالَ التَّالي: كيف يمكن أن نيسِّرَ النَّحو إرضاءً لمن يجد في دراسته غموضاً، أو تعقيداً كما يطيبُ لأعلام التَّنوير أن يسمُّوه؟

هذا سؤالٌ افتراضيٌّ جيدٌ، أتذكَّر في الإجابة عنه مقولةَ للإمام عبد القاهر الجرجانيِّ، يقول فيها: «إذا تعاطى الشَّيءَ غيرُ أهله، وتولَّى الأمرَ غيرُ البصير به= أُعضل الدَّاءُ واشتدَّ البلاءُ». وحسبي وحسبُك أيضاً هذه الكلمة النَّبيلة الجامعة التي تقول: إذا تولَّى تدريسَ النَّحو مَنْ ليس من أهله فسَدَ اللسانُ، وإذا اعتلى المنبرَ خطيبٌ جاهل فسدت الأديان، وقسْ على هذا أمر الطبِّ والبناء وسائر ما يتعايش به بنو آدم، وهذا أوَّل ما يمكنُ أن يُجدَّدَ به اللسانُ، وتُجدَّد به الأوطان.

ولا أريدُ أن أضعَ القلمَ قبل أن أوضِّحَ مسألةً مهمَّةً في تضاعيف مقولة الجرجانيِّ/تتعلَّق بالأسلوب الجيِّد في عرض المادَّة العلميَّة، وهذا هو جذمُ التَّجديد لمن بَحَثَ له عن باب، فالتَّجديدُ يكون بنبذ التَّقليد، وانتقاء الأسلوب الجيِّد، والطريقة الممتعة وليس في شيء سوى هذا، ولا يمكنُ أن يكون الأسلوب ممتعاً، طيبَ الأثر إلَّا إذا كانَ صاحبُ الصَّنعة متمكناً فيها، واضحةً في رأسه تفاصيلُها وضوحَ الشَّمس، ولهذا لا يمكنُ للمجدِّدين أن يجدوا باباً نافعاً للتجديد يمكُثُ في الأرض وينفعُ النَّاسَ ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، وهاكَ دليلاً من أفواه الأوائل، يقول ابنُ كيسانَ: «نظرنا في كتاب سيبويه فوَجَدناه في الموضع الذي يستحقُّه، ووجدنا ألفاظَه تحتاجُ إلى عبارة وبيان؛ لأنَّه أُلِّفَ في زمان كانَ أهلُهُ يألفونَ مثلَ هذه الألفاظ، فاختُصر على مذهبهم».

أرأيتَ! لكلِّ زمان لغةٌ، ولكلِّ زمانٍ أساليبُ، ولكلِّ قوم طرائقُ يتعايشونَ بها، ويتعلَّمون، ويفهمونَ، ويبنُونَ، ويحبُّونَ، ويبغضونَ، ويومَ جَهلنا ذلك، أو تجاهلناه، وعصبنا أعيننَا عن قراءة آدابنا بعين بصيرة وقلب حاضر= صرنا طرائقَ قدداً.

بقي أن أقولَ: إذا أراد المعلِّمُ أن يصنعَ عقولاً تتقبَّل هذا العلمَ بقَبُول حَسَن = فعليه أن يتقنَ صنعته أولاً، وأن ينبذَ الخلاف العويصَ حتَّى يؤنسَ طلابه، فتهش نفوسهم له = وأن يزاوج بين النَّحو والشِّعر مزاوجةً ذكيةً = أو أن يقدحَ النَّحوَ بالشِّعر على سمت ما صنع الإمام الجرجانيُّ مثلاً في نظريَّة النَّظم، فاستنبطَ للعربيَّة علماً جديداً تعتزُّ به وتفخر، وهو علم المعاني، وهذا هو الميدان الذي يجبُ أن تجولَ خلالَه العقول وتُعتَصر، وهذا هو أيضاً ميدان التجديد الذي تجدُ فيه النَّحوَ وغيره نابضاً بالحياة، مشرقاً تهتزُّ له النُّفوس، وتهشُّ له وترتاح، بدل الانشغال بالبتر المضلِّل، والتَّقليد الأعمى، والإسقاط المتعسِّف الذي حوَّل بعض علوم العربيَّة إلى طلاسمَ (استعجمت عن منطق السَّائل) كما يقولُ امرؤ القيس.

محاولات اغتصاب اللغة ومحو الذاكرة

كتب: د. صياح فرحان عزام

من أخطر الطرق لضرب ذاكرة مجتمع أو أمة مسألة إصابة لسانها في مقتل؛ أي إنجاب أجيال جديدة فيها تجهل لسانها، أو لا تستخدمه في التعليم والقراءة والعمل وحتى في الحياة العامة، إنّ مصادرة اللسان القومي ومحوه، من شأنه أن يقطع صلة المرء بتاريخه الحضاري والثقافي والسياسي والاجتماعي، ويدفع به أحياناً إلى إنكار ذلك التاريخ ومُعاداته.

ومن نافلة القول: إن مثل هذا الاغتصاب اللغوي والثقافي (إن صحّ التعبير) يُعيد تكوين وأدلجة مَنْ يتعرض له، بحيث يصبح بعيداً عن تاريخه أو غريباً عنه، ومن ثمّ، بعيداً عما يربطه بالمجتمع ومنظومة القيم؛ الأمر الذي تنتج عنه سهولة استيعابه في منظومات ثقافية وقيمية أخرى، وقد ينتهي فعل الاغتصاب اللغوي بالمجتمع إلى فقدان الذاكرة التاريخية التي ما من أداة فعالة لحفظها إلا اللغة والتواصل الدؤوب معم هذه اللغة.

غالباً على مثل هذه الأحوال من اغتصاب اللسان (اللغة)، والسعي لمحو الذاكرة والإعراض عن الجذور، أن تحدث بفعل فاعل هو «المستعمر»، فهذا الأمر هو شغله الشاغل ودأبه في الدول التي يستعمرها، انطلاقاً من خبرته بأنه الطريق الأقصر والأجدى لتليين عريكة الشعوب التي يحتل أراضيها ويُطبق السيطرة عليها، إما بالحكم العسكري مباشرة أو بشكل غير مباشر بعد الجلاء عنها من خلال تقييدها باتفاقيات تبعيّة مختلفة وبتجريدها من موارد المقاومة (المسلحة أو المدنية أو النفسية)، وفي مقدّمتها الذاكرة التاريخية والهوية الذاتية الحضارية والشعور الجمعيّ بالاستمرارية التاريخية، فهو يعلم من خلال خبرته الاستعمارية أنه كلما أحرز نجاحاً في هذا المسلك؛ تعاظمت فرصه لتحقيق الهضم الكامل للمجتمع المُحتلّة أرضه، وتبديد أو تذويب شخصيته، ومن ثمّ، استيعابه بشكل كامل في منظومته الاستعمارية الاستبدادية..

قد يُصيب المستعمر نجاحاً في مسعاه الشرير لاغتصاب اللسان وإحداث المسْخ الثقافي ومحو الذاكرة الحضارية، وربّما يُخفق في ذلك أحياناً، والأمر في حالتي النجاح أو الإخفاق، يتوقّف على مستوى تشبُّع المجتمع المغْزُوّ والدولة المغزوَّة بالتاريخ، حيث إن الفارق كبير بين شعوب تاريخية عريقة، وشعوب أخرى لم تبلغ في مرمى التطور هذه العَتَبة من التّشبُّع بالحسّ الثقافي والتاريخي، لذلك استطاع المستعمر أن ينجح في فرض لغته على شعوب القارة الأمريكية ومعظم شعوب القارة الإفريقية لتُصبح لغة مخاطبة يومية بين الناس، فيما لم ينجح خلال مئة واثنين وثلاثين عاماً من الاحتلال الفرنسي للجزائر، وخلال خمسة وسبعين عاماً من الاحتلال الصهيوني لفلسطين في محو ذاكرة الشعبين، ولا من اغتصاب لسانهما وحضارتهما وتاريخهما.

غير أن محو الذاكرة يمكن أن يتولد من خيارات تسلكها نُخبٌ محلية حاكمة في بلدان عدّة، بإرادة وتصميم منها، أو بقرار منها، بأن مصلحة ما، يمكن أن تنجم من خلال طمس أو تبديد الماضي وقطعْ أواصر التواصل معه أو به من جميع النواحي، بذريعة «التحرر» من قيود تمنع البلاد من التقدم والانخراط في العالمية والتقدم العالمي، وهذا بالطبع يُشكّل نوعاً ثانياً وخطراً من الانفكاك عن الذاكرة والماضي، يجري التعبير عنه والسعي فيه عن طريق الإقدام على عملية من الانشقاق الذاتيّ الاختياري عن الأصول الحضارية والثقافية المرجعيّة للمجتمع والدولة، مثال على ذلك ما فعله «مصطفى كمال أتاتورك» في تركيا على أثر انهيار الإمبراطورية الاستعمارية العثمانية، عندما قرّر تغيير الحرف العربي لكتابة اللغة التركية، واستبداله بالحرف اللاتيني، وكان ذلك الإجراء وحده كفيلاً لكي يُغيّر علاقة أمة بتاريخها، إذْ هو يقطع خط التواصل مع ذلك التاريخ عن طريق إلغاء الحرف الذي به كُتب كل التاريخ الثقافي والسياسي والديني لتركيا، وقد اتضح أن الهدف من ذلك هو تجفيف الينابيع الثقافية والدينية.

لم تتبّع دول عربية وإسلامية ما فعلته تركيا باستبدال الحرف، لكن نُخَبها الحاكمة فعلت ما يقارب ذلك في النتائج، حيث فرض بعضها لغات أجنبية كلغات رسمية في المدارس والجامعات والمعاهد ومنظومات التعليم الأخرى وفي الإدارة والاقتصاد والمال، وكان من نتائج ذلك، أن أجيالاً جديدة من مواطنيها لا تُتقن إلا اللغات الأجنبية، بل وصلت إلى درجة عدم المعرفة بلسانها القومي /لغتها الأصلية/.

والأدهى من ذلك، أن أطرها هي النافذة في أجهزة الدولة ومؤسساتها لأنها المطلوبة لأداء وظائف في القطاعين العام والخاص ولا إمكان لتأديتها إلا باللغة الأجنبية.

وبالتوازي مع هذه العالمية التي نشدتها النخب الحاكمة بسياساتها اللغوية تلك، سمحت بإدخال «اللغة العاميّة» الدارجة في الكثير من القطاعات (الإعلام والإعلانات) بدلاً من اللغة الفُصحى، وشجّعت دعوات إلى استدراج العاميّة في نظام التدريس والتعليم، بذريعة صعوبة استيعاب التلاميذ لقواعد اللغة العربية!

وما من شك في أن هذه السياسات تأتي ضمن نطاق إستراتيجية الاغتصاب اللغوي لمحو الذاكرة، ولكن هذه المرة بفعل فاعل آخر هو: النُّخب المحليّة المتغربنة، ولكن السؤال المهم هو: هل تستطيع نُخب / أنغلوفونيّة وفرنكوفونيّة/ مُتنفّذة في بعض الدول المبهورة بحضارة الغرب ولغاته أن تنجح فيما أخفقت فيه القوى الاستعمارية أثناء احتلالها /الجزائر وفلسطين/ كما أشرنا قبل قليل؟ ألا يحاصرها تاريخ مجتمعاتها ويُقيّد مساعيها كل يوم تتزايد فيه أعداد المتمسكين به من التيارات المختلفة؟

نختم حديثنا بالقول: لعل الشيء الذي تتجاهله هذه النخب في بعض الدول العربية حقيقة أن الجراحات القيصرية إذا كانت جائزة في الأبدان، فهي لا تجوز في الأفكار والنفوس والوجدانات ولا تتولّد فيها النتائج عينها.

حابل المثقف... ونابل المتطرف

كتب: عيد الدرويش

للثقافة دور أساسي وكبير في تحديد مسار حياة الشعوب، وعلى هديها تصاغ القوانين والمعتقدات، وتقام الطقوس، فالساحة الثقافية لا تقل أهمية عن ساحات الوغى، فتكثر فيها الحبال والنبال.

لقد تعدَّدتْ وجهات النظر حول المسألة الثقافية، من حيث أنماطها ومستوياتها وأهدافها وغاياتها، تجعلنا أمام خيارات متنوعة ومتباينة، وفيها تحديات كبيرة وشاقة، وهي ليست باليسيرة، ولكنها ليست بالعسيرة، ولتحديد تلك الروائز للمسألة الثقافية يضع «غرامشي» في نظريته الثقافية، نموذجين من حاملي الوظيفة الثقافية لقيادة المجتمع.

فالنموذج الأول مثقفون تقليديون «معلمون – رجال دين – إداريون.....» وهم يواصلون فعل الأشياء نفسها من جيل إلى جيل.

أما النموذج الثاني: العضويون المرتبطون مباشرة بالطبقات العامة للمجتمع وكذلك الشركات التجارية التي تستخدم المثقفين في تنظيم مصالحها، لاكتساب سلطة أكبر والفوز برقابة أوسع، وهؤلاء المثقفون لا يكونون حقيقيين، عندما تحركهم عاطفة ميتافيزيقية، أو مبادئ وأفكار رنانة وطوباوية في الدفاع عن العدالة ويشجبون الفساد، ويتحدّون الظلم والجور، وينفون عن أنفسهم المنافع الشخصية الضيقة، مدعين بأنهم يتطلعون إلى امتلاك مزايا غير عادية، ويطلقون على أنفسهم مقولة «مملكتي ليست من هذا العالم».

في الوقت الذي نجد فيه حابل المثقف عند «إدوارد سعيد» يسير باتجاه أن المثقفين نخبة كائنات نادرة، ما داموا يدافعون عن المبادئ الخالدة للحقيقة والعدالة، التي ليست من هذا العالم، كما أن «سارتر» لا يخفي حابله، ويهاجم عمن يريد الإمساك بالنابل بالقول: «يصبح المثقف مزيفاً من ألد أعداء المثقف الحقيقي، وإن المثقف المزيف هو كلب حراسة للقوى السائدة، لأنه يدافع عن حجج عقلية تقدم نفسها على أنها دقيقة الاستدلال، هو بداية وقبل كل شيء خائن ومرتش على الأقل».

وفي هذا المقام ليس كل المثقفين بريئين بما يعتنقون به، ويعملون بما علموا، ولكن بالعودة إلى غرامشي – وبالمقايسة- فإن النموذج الأول - المثقفون التقليديون- المعلمون ورجال الدين، ونشير هنا ما يظهر على الساحة العربية اليوم، وفي أماكن متفرقة من هذا العالم، فقد أصبح التطرف الديني ظاهرة تستوجب الوقوف عندها، لتعدد النبال التي يَسْتَلّونها، واضعين أنفسهم أوصياء وغيارى على الأمة ومستقبلها، والتطرف واسع الطيف لا تنحصر هويته في الجانب الديني، بل يتعداه، ينتمي لكل التيارات الثقافية والمعرفية، فالمثقف المتطرف إما أن يجهل الحقيقة، وهذا ما لا يحدث لأنه تنتفي عنه صفة الثقافة، وإما أنه يصنف من الخبثاء، ليستثمر هذا الجهل عند الآخرين، ويأخذهم على حين غرّه، لكي يكونوا أدوات في أيديهم، ويعلم بذلك الدور الذي يفعله، فإننا نرجح له صفة العمالة والخيانة، لأنه غير مؤتمن على مفردات ثقافته التي ينتمي إليها، والتي تمتد إلى جوف التاريخ وينتمي إليها أمم لها أمجادها، ومن ثم هذه الجماعات لن تشاركه هذا الدور، ولن يكون له حابل المثقف، ولم يعد له ذلك الدور المنوط به، وللمثقف المتطرف درجات، فأعلى درجة ومرتبة يؤديها، يبدأ بالصراخ والضجيج – ومن المقولات التي تظهر الخواء الفكري لهم «من ارتفع صوته ضعفت حجته»، وهو يحمل أفكار غيره -أو كحمار يحمل أسفاراً- ومؤتمن على تأديتها وفق ما يُملى عليه من الآخرين، ولا يعنيه بما تؤول إليه النتائج، فهو كلب حراسة أمين، ومتخلٍ عن الدفاع عن إيديولوجية وثقافة وشؤون بلاده، فإلى أي ثقافة ينتمي هذا المثقف (مجازا)؟ الجواب: إنه ينتمي إلى الثقافة المستجلبة، وبهذا الفعل لم يعد هذا المثقف الذي كان من الأجدى أن يحمل الحابل فقط، ولكنه يستخدم النابل المدمر لثقافة أمة وحياة شعب، بعد أن ينفذ ويحقق مآرب الآخر عبر هذا الوسيط، لينطبق عليه مثل الولد الذي يجلب اللص إلى بيت والده ليسرقه، فلا الوالد يسامحه، ولا اللص يشكره.

في هذا السياق لا تختلف كثيراً معايير التطرف الديني، الذي يمنح فيه العاملين فيه صكوك الغفران، التي جاءت وفق فلسفات هؤلاء الخبثاء، وتنامت مع هؤلاء الجهلاء، والذين لا يدركون شر هذا الدور، تحت مظلة التدين المتعصب والمقيت، وهو بعيد كل البعد عن ثقافتنا الدينية، هذه الثقافة الدينية التي جاءت رحمة للعالمين والتسامح والوسطية والاعتدال، وهذا ما حدده غرامشي، فإنهم مثقفون تقليديون، والغريب في هذا الأمر أنَّهم أشهروا نبالهم في مواجهة المجتمع، ولم يرتقوا إلى أن يكونوا مثقفين عضويين فاعلين في المجتمع، ويبقى الصراع ويحتدم ويختلط حابل المثقف ونابل المتطرف، ولكن حابل المثقف سيتغلب في النهاية، لأنه ينتمي إليه الأكثرية من الناس، بعد أن يتحطم نابل المتطرف عاجلاً أو آجلاً، لأن الحياة لن تستقر مع التطرف مهما طال الزمن أو قصر.

أشجار السَّمُر بين العلم والأدب

كتب: أسعد الفارس

اعتدت أن أكتب للقراء والمتابعين مقالة علمية بحتة مهجنة بالتراث.. الذي يعبّر عن وجدان وهوية الأمة.. ولكن البريطاني (جيمس ب. ماندفيل) من خلال عمله في شركة آرامكوا النفطية في المملكة العربية السعودية طلع علينا مؤخراً ببحث علمي تراثي نادر بعنوان: (عوالم النبات عند البدو) حول عموم النباتات الرعوية واستخدامها في صحراء شبه الجزيرة العربية.. وبكلام آخر هناك بعض النباتات في بلادنا ذائعة الصيت في موروثنا الشعبي.. يلم بها الأجنبي ونجهلها نحن، ويبدو أن رواد تصنيف تسمية النباتات الأجانب خاصة نطقوا بأسمائها العربية من بدو الصحراء العربية، ولهذا أعددت هذه المقالة كنموذج عن نبات السَّمُر (بضم الميم وتشديد السين) بين العلم وموروثنا الشعبي.. فالسمر شجرة معروفة في شبه الجزيرة العربية وفي شمال وشرق أفريقيا.. منذ القدم.

صغيرة الورق ناعمة الزهر قصيرة الشوك... وارفة الظل جيدة الخشب.. أغصانها تنمو بالاتجاه الأفقي...ويبدو أن الشجرة التي بايع الناس تحتها النبي محمد صلى الله عليه وسلم... في يوم الحديبية... هي من السمر.. وهي من جنس نبات الطلح أو الأكاسيا (Acacia) من عائلة البقول.... واسمها العلمي تحديداً (Vchellia tortilis) تنمو أشجار السمر فوق الرمال وعلى عموم المنحدرات الصخرية وفي بطون الأودية ويرتبط اسم نبات السمر بأدبيات إعداد القهوة العربية للضيفان والنار التي توقد من أجل ذلك لسرعة الاشتعال والجمر الوافر اللازم.. وقلة وشفافية وخفة الدخان المنبعث.. وقد ورد ذكر السمر في قصائد الشعر الفصيح... وفي القصائد الشعبية... ومنها قول الشاعر الظلماوي الشمري:

يا كليب شب النار يا كليب شبه
عليك شبه والحطب لك يجابي
علي أنا يكليب هيله وحبه
وعليك تقليط الدلال العذابي
وادغث لها يا كليب من سمر جبة
وشبه ليامنه غفا كل هابي
باغ ليا شبيتها بالمشبة
تجلب لنا ربع سراة غيابي

والقصيدة... وقصتها شائعة كثيراً في موروثنا الشعبي... والسمر شجر معروف منذ القدم في مناطق كثيرة من شبه الجزيرة العربية... وجبة مدينة في منطقة حائل في نجد تحيط بها صحراء النفوذ... تبعد عن مدينة حائل حوالي 107 كم.. على الطريق القديمة بين بلاد الشام ونجد... وهي من أهم المواقع الأثرية في شبه الجزيرة العربية... كل هذا عن شجرة السمر عرضتها بين العلم والأدب.. قد شجعني ماندفيل على عرضها للقراء بهذه الطريقة، مزدانة بشعر الظلماوي... وقد قيل من قبل:

والشعر ليس بنافع إنشاده
حتى يكون عن الحقيقة معربا..

كتبها: منير خلف

تزحلُقٌ لامِ الألم

لامٌ معجمٌ حاضرُ البديهة في ذاكرة الغياب.. لامٌ مستعص على ندم مباغت للفائض من طفولة مترامية الأقحوان.. لا التعريف هيَّابٌ بإحضاره ولا النكران قادرٌ على تهميش منبته الداكن حسرة على ما لم يأتِ بعدُ.

هيولى ترسم ذاكرةً سمراءَ لخواء العتمة في مهب الشروق.. ذاكرةٌ تلقّنُ الدرب أبجدية البكاء.. وتأخذ بيد الحالمين بالنجاة إلى سفح الحياة.

ملّ من هوسه الطريق، بدا شحوب السراب مسيطراً على هالة ما يسعى إليه، ما زال وَجْدُ الحنين يلازم قلبه وسُكّانه المشغولين بنور حقيقة ربما سيطفو على ماء اليقين.

لامٌ تلومُ الكائناتُ انغماسه الداكنَ بين يقظة همزتَي قطع ووصل تتعارك الجهاتُ لاستنطاق مخبوءات كلٌّ منهما على حدة لتهيئة ما انفلت من معانيهما وهما تشدّان أزْرَ ما تفاقم من قطع الوصال برَحِم الوصول.

ألم يكن المتنبّي باحثاً عن إبرة الأمل في كومة قش الآلام حين نطقت حنجرته الذهبيةُ بما خاطب به سيف الدولة الحمداني مؤكّداً أنه لا وجودَ لألم تكون نتيجته سروراً تقطفه يد رضاً أحسَّه في عينَي الحمدانيّ:

إنْ كان سرَّكُمُ ما قال حاسدُنا
فما لجرحٍ إذا أرضاكُمُ ألمُ؟

أولم يكن الجواهريُّ مُنجزاً الأملَ إبداعاً مشرقاً خالداً حين لم يستطع الألم أن ينتزع من حدائق قلبه ما كان يأمل أن ينتزعه رغم الهجوم البطيء العنيف الذي أعلنتْهُ جيوشُ الموحشات من الهمّ والهرم على جسده المقاوم شعراً بتّاراً قطع دابر الألم الذي انحسر منسوب سواده أمام تصدّي الجواهريِّ له بعدم مبالاته لذلك العدوان حين احتجَّ في وجه الألم متأمّلاً أملَ قرّائه القادمين:

لم يبقَ عنديَ ما يبتزّهُ الألمُ
حسبي من الموحشات الهمّ والهرمُ
لم يبقَ عنديْ كفاءَ الحادثات أسًى
ولا كفاءَ جراحاتٍ تضجُّ دمُ؟

أغنّي لقلبك وهو يمدّ يدي نحو مجد الحياة، أغني لحُسنك وهو يلبّي غزارة حبي لوردة حقلك، أسهر قدّام عينيك حتى تنام القطا في ربوع اسمك المتورّد، أسمو مع الماء.. تشربُ كل الطيور صباحاً عميق الرؤى من جرار انتمائي إلى نخلة في عيونك، هل تستطيع المعارف نكران حبّي لصبحك في وضح الشوق؟ هل أستطيع تلمّسَ عطرك؟ ما كنتُ أدري سوى أنني عندما كنتُ أنظرُ في مقلتيك حلمتُ بفجر طويل يكون الهوى سالكاً دربَ نجماته الخُضر وهي تهيّئ سندسَها في مهبِّ ارتدائك للياسمين، أزمّلُ همزةَ صحو العناقيد من كَرْم خدّيك، أقضي انتظارَ السنينَ بحنطة كفّيك حتّى تسافر في نهرك العسليِّ العيونُ التي ما ارتوت ضفّتاهُ ليالي حزنيَ من همسة من شموع يديك لكي تتهاطلَ كلُّ الجهات اخضرارَك، مهما شُغلْتُ فلن ينبض الصوتُ إلا بحرفك أزرقَ، هل يلهجُ الحالُ إلا بذكرك همزةَ وصلٍ جديد بميم ارتقاء، ولام اكتمال الهوى بازدحام حضورك، لا ترهقي عمرَنا المتبقّي.. لا تُنهكي خضرةَ النخل كرمى عيونك، لا تفتحي غيرَ ما يشتهي القلبُ حاضرَهُ وبداوةَ عاطفة كان يحمي أيائلَها بجنون يديه ويفدي المها في فلاة هواه، ولا يرتوي بالوصول.

تـآكل الدولة العربيـة الوطنية من الداخل

كتب: د. لبيب قمحاوي

تلوح في الأفق العربي بدايات حقبة جديدة من الانهيارات الاقتصادية المتتالية لأسباب مختلفة التي سوف تترجم نفسها بالنتيجة من خلال عجز الدولة الوطنية العربية عن القيام بالحد الأدنى من المسؤوليات المنوطة بها والمُتَوَقَّعَة منها كدولة، ما سيفاقم الأمور إلى الحد الذي سوف يضعف الدولة الوطنية ويجعلها أقرب إلى هيكل أجوف منها إلى محتوى مؤسسي حقيقي فاعل، وهذه الحالة لا تأتي في العادة فجأة أو خلال فترة زمنية قصيرة، ولكنها تأتي نتيجة سياسات تراكمية على مدى عقود طويلة من العمل الهادف إلى إضعاف مؤسسات الدولة وجهازها الإداري ومنظومتها القضائية بشكل يؤدي إلى الحد من قدرة الدولة على الأداء ويجعل من ترابط مؤسساتها أمراً شكلياً يزداد ضعفاً مع مرور الوقت.

المؤشر الأخطر وقد يكون الهدف الحقيقي المنشود من انهيار الدولة الاقتصادي والمالي يكمن في إشارته الضمنية إلى أن الدولة المعنية لا تملك ما يؤهلها لأن تكون دولة بالمفهوم الحديث للدولة، وأن الانهيار الاقتصادي والمالي سوف يؤدي بالنتيجة إلى انهيار مؤسسات الدولة المعنية وبنيتها التحتية المتهالكة وإلى تبعيتها الاقتصادية والمالية ومن ثم السياسية، أو قد تؤدي إلى انهيار الدولة نفسها، ما يجعل من احتلالها أو الهيمنة عليها أو تقسيمها أمراً ممكناً أو متوقعاً وإلى الحد الذي جعل من تقسيم دول مثل العراق وسورية وليبيا احتمالاً مطروحاً ومتداولاً، وتقسيم أو زوال دولة مثل لبنان أمراً متوقعاً ولا يَبْعَث على التساؤل أو الصدمة.

الحديث الدائر والمتواتر عن كون هذه الانهيارات هي نتيجة أخطاء وسياسات فاشلة قد يكون على الرغم من صحته أبعد شيء عن الحقيقة، لا أحد يريد في الواقع أن يتكلم أو يفصح عن حقيقة أن هذه الانهيارات مقصودة بل مطلوبة، وأنها بالتالي نتيجة لسياسات تم رسمها والتخطيط لها بهدف إدارة الأمور في هذا الاتجاه، ومن هنا، فإن بعض الدول المانحة تتغاضى عن الفساد وسوء إدارة المساعدات أو الهبات التي تقدمها لأن الهدف المطلوب هو ترسيخ التبعية الاقتصادية للدولة المستفيدة وليس الإصلاح الاقتصادي الحقيقي والفاعل، الحديث الدائر عن الفساد والتسيب لا يلقى بالتالي أي اهتمام أو أذن مصغية من تلك الدول المانحة لأن الإصلاح الحقيقي يأتي متعارضاً مع الأهداف الخفية والمشتركة بين معظم الدول التي تقدم تلك المساعدات والهبات أي الدول المانحة.

إن إفشال الدولة الوطنية من خلال الانهيارات الاقتصادية والمالية المتتالية هو البديل لإفشالها عسكرياً وتدميرها نتيجة لذلك، وهكذا يصبح السلاح الاقتصادي والمالي هو البديل الحديث للسلاح أو الهزيمة العسكرية وبنتائج قد تكون أكثر فداحة في أثرها وأطول مدى في تأثيرها.

تلتقي في الإجابة عن هذا التساؤل مصالح دول الغرب وأمريكا مع المصلحة الإسرائيلية ومصالح القوى الإقليمية الرئيسة وهي تركيا وإيران، فإضعاف الدولة الوطنية العربية وإضعاف الهوية والانتماء القومي العربي هو مصلحة مشتركة لكل تلك الدول، وفي ظل هذه المصلحة المشتركة تبرز رؤيا مشتركة في ضرورة السيطرة على الإقليم العربي الضعيف والمترنح بعد ما يزيد على نصف قرن من الهزائم العسكرية والسياسية والتراجع الاقتصادي والانهيار المالي وتفسخ القضاء وتفاقم نهج الاستبداد والفساد الكبير وقمع الحريات بأشكالها المختلفة، وهكذا أخذت القوى الدولية والإقليمية تتعامل مع العالم العربي باعتباره رجل الشرق المريض الذي تسعى مختلف القوى إلى وراثته والاستيلاء عليه وعلى ثرواته ومصادره الطبيعية ومياهه ومقدراته بأية طريقة ممكنة حتى لو تطلب الأمر تقسيم أي دولة من دوله إلى دويلات أو إلى مناطق نفوذ كما حصل في العراق وسورية وليبيا واليمن من دون أي اعتبار لشعوب تلك الدول أو مصالحها، وأصبحت تلك الدول بالتالي مستباحة سيادةً وأرضاً وثروات ومصادر.

يسير العالم بشكل عام في اتجاه استبدال السيادة السياسية بالقوة الاقتصادية المستندة إلى التكنولوجيا المتطورة، وأصبحت التكتلات الاقتصادية الكبرى أقوى وأهم وأكثر نفوذاً من الدولة الوطنية التي أخذت تنحسر تدريجياً لمصلحة تلك التكتلات العابرة للحدود باستثناء دول العالم الثالث التي تفتقر إلى القوة الاقتصادية والتكنولوجية وإلى التكتلات الاقتصادية المؤثرة، العالمية الثانية إلا إذا تعارض وجودها مع مصالح الدول الكبرى أو التكتلات الاقتصادية الكبرى.

يمر العالم الآن في الواقع بحقبة انتقالية لم يستقر فيها نهج التغيير حتى الآن، فالأمور ما زالت تتأرجح بين الدولة الوطنية والنظام العالمي السائد من جهة، وقوى التغيير والعوامل الحاكمة لذلك التغيير من جهة أخرى، وواقع الأمور يشير إلى أن مثل ذلك التغيير لن يأتي بسهولة وخصوصاً أن الانتقال من العالم القديم إلى عالم جديد قد لا يكون سلمياً إذا ما ثبت أنه سوف يؤدي الى المساس المباشر بمصالح الدول الكبرى والتكتلات الاقتصادية الدولية السائدة.

التغيير القادم سوف يؤدي إلى إضعاف الانتماء للهوية الوطنية لمصلحة تطابق المصالح واستقطاب الكفاءات على المستوى الفردي، ولن يبقى هنالك أي انتماء أيديولوجي أو عقائدي يتمتع بأهمية أو تأثير إلا في بعض الدول التي تنتمي إلى العالم الثالث بالمفهوم المجازي في العالم السائد، التوجه نحو الكونية أو العالمية سوف يكون ضمن شرطين هما التفوق التكنولوجي وأولوية المصالح الاقتصادية، وهذان الأساسان سوف يستبدلان ما كان يُعرف بالأيديولوجية الوطنية وكذلك الكيان السياسي الذي يمثلها وهو الدولة الوطنية.

الثقافة الْعَالِمَةُ والعقل الشقي

كتب: د. عدنان عويّد

عندما بدأ التقسيم الكبير الثاني للعمل بين الرعي والزراعة والحرفة، وبدأ معه اقتصاد السوق العينيّ أولاً والصغير تالياً، وما يقوم على هذه السوق بشقيه من علاقات اجتماعيّة، راح يحدد طبيعتها بعد ظهور الملكيّة الخاصة، المالك لوسائل الإنتاج والمنتج لها معاً، فمع ظهور الملكيّة الخاصة واستغلال الإنسان للإنسان، أخذت هذه الملكيّة تتراكم عند المالك على حساب المنتج، الأمر الذي دفع المنتج ليبحث عن سند له يدافع به عن حقوقه وأمنه وعدالته في محيطه الاجتماعيّ، فلم يجد من يقف معه أو يدافع عنه، وهنا بدأت الإرهاصات الأيديولوجيّة للدين تستخدم من الفقراء المنتجين ومن يمثلهم من شخصيات خرجت من رحم المعاناة، ضد الأغنياء المالكين، فكان الفقراء أول من ارتبط بالديانات وراحوا يعبرون باسمها عن ظلمهم وقهرهم واستغلالهم في مرحلة متقدمة من التاريخ الإنسانيّ، وشكلوا عمودها الفقري، حيث وجدوا في هذه الديانات ضالتهم، أو وسيلتهم المشروعة للخلاص من عذاباتهم، ((وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)) (5)، القصص، بيد أن المالك استطاع أن يسرق منهم هذا الموقف الأيديولوجيّ للدين، ويوظفه لمصلحته من خلال اعتماده على الكثير من رجال الدين أنفسهم، الذين أغرتهم السلطة والجاه والمال، وشيئاً فشيئاً أخذوا يقنعون المنتجين بأن سبب فقرهم هو شيء آخر غير المالك المتحكم بلقمة عيشهم، وإنما هناك أسباب أخرى تعود إلى قوى غيبيّة شاءت أن تقسم الرحمة (الرزق) بين الناس وتجعل بعضهم فوق بعض سخرياً (أجراء) لهم، (أَهُمّ يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمت ربّك خير ممّا يجمعون) (الزخرف: الآية 32)، أو أن سبب فقرهم وقهرهم هو عدم امتثالهم لفضيلة الدين وطاعة الله، فأمام هذه التغييب المعرفيّ لأصل معاناة الفقراء والمحرومين، وما يرتبط بهذه المعاناة من غربة واستلاب وتشييء وظلم وقهر وضياع لجوهر الإنسان، بدأت الثقافة العالمة تفرض نفسها على وعي الناس وتسيطر عليه، محاولة عبر حواملها الاجتماعيّة الموالية لقوى الاستبداد والظلم، تشويه الظروف الماديّة والذاتيّة التاريخيّة التي ساهمت في غربة الإنسان وضياعه في منتجاته، أو علاقات إنتاجه، أي هي الثقافة التي فقد فيها الإنسان ذاكرته التاريخيّة الحقيقيّة في معرفة أسباب قهره التاريخيّ واستطالاته وتعدد أشكاله، فراح يبحث عنها في الدين ونصوصه التي فُسرت وأولت، وغالباً ما تم وضع الكثير منها (الحديث)، بعد أن نسجت حولها خيوط كثيرة من قصص الوهم والأساطير والخرافة، تدور حول رؤى وأفكار غير حقيقيّة عن سعادة الإنسان، وعن سبب فقدانه لهذه السعادة، وما حل به من شقاء وضياع لأمنه واستقراره، وبناءً على أساس هذا الضياع، راح الإنسان يمني نفسه داخل معطيات هذه الثقافة بتحقيق خلاصه، لقد بقي هذا الإنسان الضائع والمستلب والمشيئ، يحلم ويطمح في كل دورة حياتية جديدة يمر بها أن يجد ذاته الضائعة، وغالباً ما يؤدي طقوساً ذات طابع روحاني ممنياً نفسه بمستقبل أفضل، ورغبة بالخلاص من ضياعه وخطاياه وذنوبه وغربته وتشيئه واستلابه في عالمه هذا، لعله يخرج إنساناً بولادة جديدة، بيد أنه ظل يعيد للأسف إنتاج قهره وظلمه بسبب استمرار إيمانه بتلك الرؤى الأسطوريّة وطقوسها ورموزها التي يعوّل عليها خلاصه الأبدي، دون البحث في بنية علاقاته الاجتماعيّة القائمة عن أسباب قهره فيها.

نعم... إنها ثقافة الأسطورة والمقدس (المشوّه) والوهم والتخيل واللامعقول بكل أشكالها التاريخيّة، ومن ضمنها الثقافة البدائيّة التي لم يستطع الإنسان حتى هذا التاريخ أن ينسلخ عن الكثير من معطياتها، إنها ثقافة تقديس الشجر، والحجر، والضحيّة ودمها، وسن الذئب وجلده، ونضوة الحصان، وريشة الطائر، ورأس الوعل، والثعبان، والخرزة الزرقاء، وإشعال الشموع...

إنها ثقافة الخوف من الحاضر والآتي، وما يرافق هذا الخوف من بحث عن سر الخلاص عند الشيخ وحجبته أو تميمته، أو عند الساحر ومائه ورماد نيرانه وأسماء جنياته وجنه.. أو في قراءة الفنجان والكف، إنها الثقافة العالمة لسر الوجود، وحركة الكون وكوارثه أو نعمه.. إنها ثقافة الأسطورة التي لم تزل تهيمن على حياتنا ونفسر بها قوانين حركة الطبيعة والمجتمع، وعالم الإنسان الداخليّ في خوفه ومرضه وألمه وحلمه ورغباته.

إنها ثقافة استرداد بعض محطات الماضي (الفردوس المفقود) التي لم نزل نعتقد أننا بإحياء ذكرى بعض محطاتها سنوياً، سنستعيد هذا الفردوس الضائع الذي يمنحنا تجديد حياتنا وخلاصنا، وما أكثر تلك المحطات (الأعياد والطقوس) وتعدد دلالات إحيائها، أو الوقوف عند ذكراها.

هذا مع تأكيدنا أن هذه الثقافة العالمة أصبحت الأكثر خطورة، بعد أن أخذت بعداً معاصراً رغم كل التطور العلميّ والمعرفيّ، حيث تجسدت هذه الثقافة العالمة في بعض صيغها الأكثر حضاريّة وعصريّة في إعادة تأكيد الانتساب إلى الطائفة والمذهب والحزب والطريقة الصوفيّة، التي يتلقنها الأفراد عبر طقوس تنسيبية، تُمنح لهم على درجات ومراتب يشعر المرء في كل مرحلة يرتقي فيها داخل هذه التجمعات أنه خُلق خلقاً جديداً، وأنه حقق تمايزاً معرفيّاً ووجوديّاً عن غيره في معرفة نفسه وما يحيط به.. نعم إنها ثقافة الشيخ والبطل السلبي بكل أشكال تجلياته السياسيّة والدينيّة والقبليّة، الذي نزحف على ركبنا للوصول إليه وتقبيل يده أو أخذ البركة من حضوره ولمسات يده، كما هو الحال عند شيخ الطريقة الصوفيّة، أو الخضوع له ولرأيه كما هو عند شيخ العشيرة والقبيلة والطائفة والمذهب والحزب... إنها ثقافة كل الرموز التي تُحوّل الفرد منا إلى ريبورت يشعر أن كل ما تعلمه من هؤلاء هو بداية المعرفة ونهايتها، وأن معرفة الكون والمجتمع والفرد تكمن فقط فيما نتعلمه من هؤلاء.

إن الثقافة العالمة هذه، هي ثقافة الرموز والطلاسم التي لا تنتمي للعقل ولا لنشاط الإنسان وتناقضات علاقاته الاجتماعيّة وصراعاتها، إنها ثقافة تريد للعقل والإنسان وحاضره أن ينتمي إليها، كونها هي وحدها من تمتلك الحقيقة المطلقة والعارفة بما كان وما هو كائن وما سيكون، أي هي وحدها الصالحة لكل زمان ومكان... نعم... إنها الثقافة الْعَالِمَة.

ترقيعٌ بخيطِ التّراثِ..!!

كتب: محمد شريف سلمون

لَقِيَتْ ظاهرةُ الحضور والغياب اهتماماً بالغَ الأثر منذُ مطلع العصر الحديث، حتّى غَدَتْ مثارَ جدل في الأوساط الأدبيّة- النّقديّة، وذلك في محاولة لتأصيل المصطلح انطلاقاً من الموروث حيناً، أو بتبنّي اتّجاهات غربيّة في النّقد تتّخذ من النّظريات الفلسفيّة ركيزةً يستندون إليها؛ ومن ثمّ دراسة مدى تجلّيه في المنجز الأدبيّ العربيّ على اختلاف أجناسه..

وعبر تلكَ المحاولات التي قاموا بها نلاحظ- ومن دون أدنى شكٍّ- دورانَهُم في فلك واحد؛ لاعتمادهم في الأغلب الأعمّ على من سبقَهُم، بل نجدهم قد رسّخوا القديم وتناقلوهُ، حتّى إنّنا لَنكادُ نجزمُ أنّ دراسة ظاهرة الحضور والغياب باتتْ من المستَسهل في التّناول، فكثُرَتْ الدّراسات والأبحاثُ المنجزةُ، حتّى وصلتْ تلكَ الكثرة إلى مكانٍ وصل معه النّقدَ العربيّ فكراً إلى مرحلة من الجمود والتّقعّر..

ونزعمُ أنّ تلكَ المحاولات لتأصيل المصطلح كانت في مجملها من باب العبث النّقديّ، أو كما يطلق عليه الدكتور كمال أبو ديب (التّرقيع) وذلك في معرض حديثه عن غايته وطموحه من كتابه: (جدليّة الخفاء والتّجلّي دراسات بنيويّة في الشّعر) إذْ يقول: «فإنَّ طموح هذا الكتاب ثوريٌّ تأسيسيٌّ، وفي الآن نفسه رفضيٌّ نقضيٌّ، لأنّ الزّمن لم يعد زمن القبول بالرّقع الصغيرة التي سميناها خلال مئة عام (منجزات عصر النّهضة العربيّة) ولأنّ الفكر العربيّ بعد مئة عام من التّخبّط والتّماس والبحث والانتكاس، ما يزال- في أحواله العادية- فكراً ترقيعيّاً، وفي أفضل أحواله فكراً توفيقيّاً.

وعليه فقد كَثُرتْ تفسيرات الحضور والغياب وفق المفهوم الاصطلاحيّ، التي ورغمَ تعدّدها إلّا أنّها- وفي نهاية المطاف- تلتقي لتقارب المصطلح، وتبرزَ أهمَّ ملامحه، وإنْ كانَتْ في مجملها قد اتّكأت على ما أطلقهُ (أفلوطين) و(محيي الدين بن عربي) في تفسير مفهوم الحضور، وعلى آراء (الجرجانيّ) والمتصوّفة في تفسير مفهوم الغياب، والتي كانت وما تزال تنحو منحًى فلسفيّاً في التّفسير..!.

إنَّ الانطلاقَ من التّراث في تفسير المفاهيم وتأصيل المصطلحات، أمرٌ تعترضُهُ الكثير من الإشكاليّات، ربّما يعود ذلكَ للآليّة المتّبعة في التّناول، والتي نجدها تفتقد الدّيناميكيّة في كثير من الأحيان.

وعليه فإنّ الانشغال بتأصيل المصطلح لأيّ ظاهرة في المنجز الأدبيّ العربيّ، كان- وما يزال- هاجس الأعمّ الأغلب من الباحثين والدّارسين والنّقّاد- العرب-، ولا سيّما في محاولاتهم للتّأصيل من خلال الرّجوع إلى التّراث النّقدي العربيّ، ذلك التّأصيل الذي نرى فيه ما رآه الباحث الدكتور جابر عصفور في كتابه: (مفهوم الشّعر دراسة في التّراث النّقديّ)، إذْ يرى أنّ: «ثمّة فرقاً- بالتّأكيد- بينَ من يعود إلى الماضي ليثبتَ أو يؤكّد وضعاً متخلّفاً في الحاضر، ومن يعود إلى الماضي ليؤصّل وضعاً جديداً قد يطوّر الحاضر نفسه، وينفي ما فيه من تخلّف، وتأصيل الجديد يعني أنْ (نقتله علماً)، لنعرف أصله الذي جاء منه، وأصولنا التي يمكن أن تتقبّله، وتدعمه.

فمصطلح الحضور والغياب مصطلحٌ رغمَ ما لهُ من أصول في التراث النّقديّ العربيّ من حيث التّناول اللفظيّ، لكنّه مصطلحٌ فلسفيٌّ حديثٌ مولّدٌ تمَّ إسقاطُه على العمل الأدبيّ، ولا نرى- فيما نراه وقد نُخالفُ في ذلك- أنّه يلتقي مع المفهوم الاصطلاحيّ المتداول- كما يرى آخرون-؛ فظاهرة الحضور والغياب ودراستها في المنجز الأدبيّ القديم والحديث، لا تعدو أنْ تكون إلّا تطبيقاً لنظريّات فلسفيّة غربيّة، نشأت وتأصّلت وتطوّرت على أيدي فلاسفة وعلماء اجتماع غربيّين، وليست تلك الظاهرة من موروثنا في صيغتها التي وصلت إليه في شيء.

إذاً لماذا هذا التّهافت والإقبال غير المسبوق من جانب الباحثين والدّارسين والنّقاد في تناول ظاهرة الحضور والغياب من حيث المفهوم والمصطلح، وربطها بالتّراث- الموروث- النّقديّ العربيّ، من دون دراية أو اطلاع كاف..؟!.

فمنذُ أنْ أقرّ ابن منظور في لسان العرب معاني الحضور والغياب لغويّاً، اتّكأ على تلك المعاني جميع مَنْ تناول ثنائية الحضور والغياب في دراساتهم، وتوقّف المفهوم في اللغة عند هذا المعنى- ولا سيّما في مرحلة الحداثة وما بعدها- من دون محاولة الرّجوع إلى لسان العرب بحثاً عن مرادف قد يكون أكثر مقاربةً من النّاحية التطبيقيّة لمفهوم الحضور والغياب..!.

بل من غريب الأمور إيراد شاهد ومناقشته وفقَ ما يلبّي رؤية البحث رغمَ وضوح موضع الشّاهد، ليثبت من خلالها باحثٌ ما: أنَّ مصطلح الحضور والغياب ظهر جليّاً في النقد العربيّ القديم، وأنّ مفهومَ العرب القدامى لجدليّة الحضور والغياب في الشّعر يلتقي مع الفهم الحديث..!.

الذي أورده الجاحظ في كتابه البيان والتّبين- في معرض الحديث عن السّجع-: «وقيلَ لعبد الصّمد بن الفضل بن عيسى الرّقاشيّ: لمَ تُؤْثرُ السّجعَ على المنثور، وتُلزمُ نفسَكَ القوافي وإقامة الوزن؟ قال: إنَّ كلامي لو كنْتُ لا آمَلُ فيه إلّا سماعَ الشّاهد لقلَّ خلافي عليكَ، ولكنّي أريدُ الغائبَ والحاضرَ، والرّاهنَ والغائرَ، فالحفظُ إليه أسرعُ، والآذانُ لسماعه أنشطُ؛ وهو أحقُّ بالتّقييد وبقلّة التّفلّت، وما تكلّمَتْ به العربُ من جيّد المنثور أكثر ممّا تكلّمَتْ به من جيّد الموزون، فلم يُحفظْ من المنثور عُشْرُهُ، ولا ضاعَ من الموزون عُشْرُهُ».

حيث يرى الباحث الدكتور حسين خمري في كتابه: الظاهرة الشّعرية العربيّة الحضور والغياب، وفي معرض تناوله لذات الشّاهد- تعليقاً- أنّ هذا الشّاهد يمثّل: «مفهومَ العرب القدامى لجدليّة الحضور والغياب في الشّعر وهو فهمٌ متميّزٌ لكنّه في خطوطه العامّة يلتقي مع الفهم الحديث لهذه الثنائيّة...»!!.

ويضيف: «وهذا الفهمُ التّراثيّ لقضية الحضور والغياب في الشّعر يكاد يقترب من المفهوم العامّ للشّعر الذي ينفرد بآلات شكليّة ليس للنّثر فيها حظٌّ ومن هنا يسهل حفظُهُ وتداولهُ ويحافظ بذلكَ على حضورٍ دائمٍ لأنّه يحاول القبض على الحاضر والرّاهن..»..!!.

واضحٌ- هنا، في النّصّ الثّاني المقبوس- خلافاً للنّصّ الأوّل- انتباه الدكتور حسين خمري لموضع الشّاهد وتفسيره وفق القصد الحقيقيّ منه.. فلماذا يورده في كتابه على أنّه شاهدٌ يثبت تناول النقد العربيّ القديم لثنائية الحضور والغياب وفق المفهوم الحديث؟ أو لنقل كما قال في النّص الأوّل المقبوس، وللأسف لا تكاد تخلو دراسة نقديّة من وجه الاستشهاد آنف الذّكر إلى أنْ غدا- وذلك جليٌّ- ثابتاً من ثوابت ظاهرة الحضور والغياب..!.

وقد تابعه في ذلك كثيرٌ من الباحثين والدّارسين والنّقاد، منهم الباحث الدكتور محي الدّين المسدّي، الذي يرى أنَّ في الشّاهد الذي أورده الجاحظ-: «إشارةٌ إلى أنَّ العملَ الأدبيّ يقومُ على وجود حاضر وغائب حينَ إبداعه.. وأنَّ العملَ الأدبيّ عامّةً والعملَ الموزونَ المقفّى خاصّةً ينبني على علاقات حاضرة وغائبة، وإشارات زمانيّة راهنة أو غابرة، وأنَّ هذا ممّا يعطي العملَ الأدبيّ جمالَهُ وجودَتَهُ»..!!.

واضحٌ- هنا، في النّصّ المقبوس عدم التفات الدكتور محي الدين المسدّي للقصد الحقيقيّ لشاهد الجاحظ، وانتزاعه من الشّاهد ما يلبّي حاجته البحثيّة.

ومهما يكن من أمر، فإنْ كان توظيف الشاهد من قبل الباحثَيْن؛ لإثبات تناول مصطلح الحضور والغياب في النّقد العربيّ القديم بمعزلٍ عن مفهومه في العصر الحديث لكان ذلك مباحاً ولا تثريب على أيّ باحث إنْ كان تناوله وفق ما أشرنا إليه..

ولكنّ الخلاف- الذي نزعمه هنا- يرتبط في المقام الأول بتناقل الباحثين والدّارسين والنّقّاد لهذا الشّاهد، من جهة، وتوظيفه- الشّاهد- لإثبات أصل لوافد على النّقد العربيّ من حيث المصطلح والمفهوم، حتى غدا من المسلّمات في معظم الأبحاث والدّراسات حتّى وقت قريب..!.

إنّ ما نطرحه ينطبق على العديد من الظّواهر الأدبيّة في النّقد، ولا سيّما تلك التي انطلقت في شكلها ومضمونها من آراء وأفكار فلسفيّة استعارها الباحثون والدّارسون والنّقّاد العرب متأثرين بتلك الآراء والأفكار، وقاموا بإسقاطها على المنجز الأدبيّ العربيّ، من دون مراعاة خصوصيّة المنجز الأدبيّ العربيّ فكراً وثقافةً في كثير من الأحيان..!!.

أريد دفء قلبي

كتب: سمير المطرود

قال: أريد أخي.. أريد أهلي

هل تذكر متى آخر مرة تقابلت مع أخيك وحضنتما بعضكما..؟

هل تذكر متى زرت أخاك في بيته آخر مرة وجلستما أخوين تتبادلان أنفاس الحياة.. ونظرات الشوق والعطف الإلهي تدور بينكما؟

هل تذكر متى آخر مرة.. جئت بعائلتك كلها إلى بيت أخيك.. لتُري أولادك سندك وعضيدك ؛ ليعرفوا أن الحياة هي أن صيغة الجمع وليست صيغة المفرد ؟

الحياة هي أن نكون وليست أن تكون أو أن أكون .

فإلى كل الذين يقفون الآن على هامش الحياة ولم يدخلوا إلى جوهرها.. لا تغرّنكم الحياة، وهي تُنسيكم أقرب الناس إليكم..

لا تجعلوا الحياة تُفقدُكم جدار الرحمة الذي يحميكم ويسوّركم بالعناية الإلهية؛ لأن الحياة ليست ذلك البُهرج الخدّاع الذي تلقيه عليكم وهي تسرقكم من أهلكم.. وترمي بكم في أحضان الزيف والوهم؛ وتجعلكم تستعيضون عن حضن إخوتكم، بأحضان الغرباء.. وتستبدلون القريب بالغريب..

اسأل نفسك متى كانت يا أخي آخر مرة قبّلتَ وجنات إخوتك؛ وأنت تشعر بقرارة نفسك أنك تنتمي إليهم وأنك جزء ينتمي لهذا المجموع؟

متى كانت آخر مرة شعرت بها من أعماق روحك أنك بحاجة لتجلس مع أهلك وإخوتك، شوقاً ومحبة؛ وليس تلك الدقائق التي تقضيها مع أهلك من باب الواجب الاجتماعي البائس.. لتقول حين يسألك الغرباء الذين تلتقيهم بعد تلك الدقائق؛ إنك كنت تقضي واجباً أخلاقياً؛ حين ذهبت في تلك الدقائق لتصل رحمك؟

إياك أن تضع إخوتك في ميزان المقارنة مع أحد غريب؛ أياً كانت علاقتك بذلك الغريب، وتذكّر أن الشجرة لا يحميها إلا قشرها ولا يعطيها القوة إلا جذرها؛ و أن العود محميّ بحزمته، ضعيف حين ينفرد عن أهله وإخوته.

قل لي هل الحياة الآن غير هذا الزيف والوهم الذي يكثر بالنفاق؟

أليست الحياة الآن هي كل ذلك السراب المحيط بنا ويكاد يغرقنا.. لأننا أصبح نفقد في كل يوم جزءاً من إنسانيتنا المزعومة .. بعد أن ابتعدنا عن جوهر الأشياء وذهبنا إلى مظاهر وقشور فارغة..

ومع الأسف لن نصحو من غفلتنا هذه إلا بعد فوات الأوان.

دروس الحياة من حولنا تكاد تسيطر على كل تفاصيل أيامنا..

متى كانت آخر مرة سمعت صوت أخيك؟ ولماذا؟

متى كانت آخر مرة جلست فيها مع أخيك؟ ولماذا؟

الحياة يا صاحبي؛ هي أن ترى نفسك على أصلك؛ وتنسى أنك من دون أصلك لا شيء.

الحياة هي التي تجعلك غريباً حين تختار غريباً لتحضنه، وتهجر حضن أخيك!

ليست الحياة أن تكون ظاهرياً بين أهلك تجلسون بحكم الضرورة الآنية مع بعضكم، ولكنكم غرباء .

قل يا صاحبي متى كانت آخر مرة زرت أخاك وحضنته وجلست معه وشعرتما بروح أبيكما وأنفاسه بينكما؛ تضخّ في روحيكما القوة الإلهية التي لا يمكن أن تعرفاها إلا إذا كنتما متعانقين؟

لا يغرنك ما يقولون إن عناق الإخوة يحمل خطراً على صحتك قل لمن يقول ذلك: لماذا لا تقولون ذلك عن عناق الغرباء في زحمة النفاق؟

قل لهم: إن عناق الأهل يحميكم ويكسبكم المناعة والقوة بكل شيء، فليس هناك من علاقة على وجه الأرض أقوى وأصدق وأطهر وأنقى من علاقة الأخ بأخيه.

النبي موسى قال لرب العزة.. ربي اشدد أزري بأخي..

والنبي يوسف؛ ومع كل العزّ والجاه الذي بلغه لم تكتمل سيادته إلا بإخوته؛ رغم كل ما بادروه به من جحود ونكران..

فلا تجعلوا الحياة تنسيكم أنفسكم وهي تسرقكم بعيداً.. فالإخوة عزوة وسند حتى ولو كان فقراء..

والأخ هو قلعتك التي عليك أن تحتمي بها فلا تهجر قلعتك ولا تهجر الأمان وأنت تبتعد في كل يوم عن إخوتك خطوة..

أريد أخي..

أريد أهلي كلهم..

أريد دفء قلبي الذي كان معهم..

أريد دفء اللقاء الذي كان يعانق أرواحنا من قبل أن نلتقي..

أريد أن نحيا معاً.. نعم معاً..

أريد ألا أشتاق كثيراً لحضن أخي وأختي.. لأنّي أراهم في كل ثانية حولي..

نشعر ببعضنا.. نقترف الحياة كما لم نعشها من قبل..

أريد كل أهلي (بعجرهم وبجرهم)..

أريد حكاياتنا التي كنا نحلم بها من قبل أن تصبح ذكريات قادمة..

أريد أن أعيش صخب الصوت العالي في مضافة البيت الكبير ..

أريد أن أشعر أنني ما زلت أنتمي لعائلتي القديمة..

لأهلي كلهم.. لذكريات أبي.. لتفاصيل حكايات أمي.. لقصص إخوتي وأخواتي..

أريد عائلتي كلها كما كانت.. لأنهم وحدهم من دون سائر الناس.. هم الذين يزيّنون حياتي.. وحكايتي حين تكتمل برحيلي.

من أجل بيسان رواية وطن في مهب العواصف

كتبت: فائزة داود

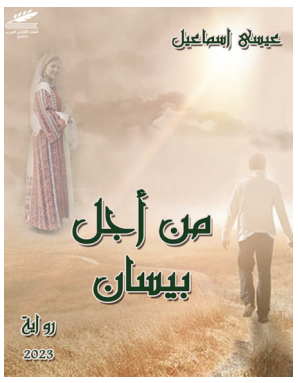

تنضوي رواية (من أجل بيسان) الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب ضمن مصطلح الرواية الوثائقية، وذلك لأنها كتبت بقلم أديب كان شاهداً على أحداث حقيقية ومفصلية عرفتها المنطقة العربية في النصف الثاني من القرن الماضي، وقد يلاحظ القارئ أن كاتب الرواية حاضر بقوة في سيرورة الأحداث، ليس في توجهه الفكري والنفسي فقط، بل كذلك في حضوره الفعلي المحرك والمؤثر.

تنضم رواية (من أجل بيسان) للأديب عيسى إسماعيل إلى مدرسة (ما بعد الإيديولوجية) التي راجت كثيراً في العقود الأخيرة، وتتمثل في سقوط المثل وهزيمته أو لنقل خضوعه للعادي والمألوف، وأقصد هنا العودة إلى النسق القطيعي العام، الاجتماعي والسياسي وكذلك الديني.

بدأت ملامح هذه المدرسة تبرز في العقدين الأخيرين من القرن الماضي بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وانهيار جدار برلين، وبث شعارات تسخر من فكرة الانتماء للوطن أو الإيديولوجية، وقد كانت رواية (شموس الغجر) للروائي حيدر حيدر مثالاً على هذا النمط الروائي الذي واكب التغيرات الدولية والإقليمية في العقود الأخيرة.

تبدأ رواية (من أجل بيسان) بضجيج الإيديولوجية والشعارات ثم تنتقل إلى رائحة العطر التي تشي بأنوثة طاغية وكلتاهما تمثلهما وصال القادمة من الريف والطالبة في كلية الآداب، تصبح وصال المتمردة والممتلئة بالإيديولوجية والشعارات الرنانة حبيبة عابد، الطالب في كلية الآداب والقادم هو الآخر من الريف السوري، وكانت في الحب متمردة ومتحمسة كما في الإيديولوجية، لكن قصة الحب هذه لم تكتمل بالزواج، فثمة آخر يريدها زوجة، وهو ابن قريتها وقريبها لجهة الأب، تدخل وصال مع والديها في صراع عائلي وتتمرد في البداية على قرار الأهل لكن دون جدوى، إذ بدا أن ضجيج الإيديولوجيا وقوة الشعارات أضعف من أن تواجه العادات والتقاليد المتوارثة لتشهد بذلك الرواية في صفحاتها الأولى نكوص شخصية وصال ومن ثم خضوعها واسترخاؤها للعادي والمألوف، فتترك دراستها الجامعية وتتزوج من ابن عمتها وتسكن معه في القرية.

النكوص الثاني كان لحسن الفلسطيني، ونعلم من اسمه أنه فلسطيني يدرس في جامعة دمشق ويسكن في مخيم اليرموك، وقد صار صديقاً لعابد الذي يمسك بخيوط الأحداث بحرفية عالية، فنجد حسن ابن مخيم اليرموك يتحدث أمام طلاب الجامعة عن تحرير فلسطين ومشروعه كفدائي يتدرب في معسكرات قتال سرية وينضم إليه عابد ينفذان مع بعض الفدائيين عمليات داخل الأراضي الفلسطينية ويمارس حسن تمرده الاجتماعي والديني حين يتزوج ممرضة مسيحية كانت قد عالجته من جراحه أثناء وجوده في المستشفى رافضاً الزواج بابنة عمه بناء على اتفاق كان قد تم بين والده وعمه منذ أكثر من عشرين عاماً.

يختفي حسن بعد زواجه بحبيبته من مخيم اليرموك، ثم يظهر في تونس بعد الصفقة التي تم بموجبها ترحيل بعض الفصائل الفلسطينية المسلحة من لبنان إلى تونس، ويتوقف حسن عن تنفيذ العمليات الفدائية ضد الصهاينة ويصبح مشروعه الجهادي وراء ظهره، ثم ينتهي به الأمر سفيراً لفلسطين في دولة نفطية، فيعلم عابد أن صديقه الفدائي الفلسطيني باع نفسه ببضعة دولارات واستبدل قضيته الكبرى بكرسي يمثل وطناً ضائعاً.

النكوص الثالث كان لدور العبادة خاصة منها مساجد حي اليرموك التي توقف شيوخها عن الدعوة إلى الجهاد في فلسطين أو إدانة الصهاينة، وصارت خطبهم مخصصة للحديث عن العلاقة الخاصة بين الرجال والنساء وكذلك الحجاب واستبدال أزياء الرجال المعتادة بثوب قصير وسروال فضفاض.

أما النكوص الخامس فكان لشقيقة حسن وحبيبة عابد (بيسان) التي اشترطت لقبول الزواج من عابد بعد قصة حب طويلة أن يسكنها في دمشق، فعلم عابد أن بيسان لم تعد متحمسة لفكرة العودة إلى بلدتها التي هجرت منها فمدينتها صارت دمشق أما المدن الفلسطينية والمدن والقرى السورية فلم تعد تعنيها وهذا حال سكان المخيم الذي تعيش فيه.

لم تكن حالات النكوص في الرواية مجانية فمن يقرأ الرواية فسيجد شخوصها أمام عينيه وهي في رأيي متعددة ومتكررة ولكن بلبوس مختلف وهذا ما يدفعنا للتساؤل إذا ما كان النكوص رهناً بالمتغيرات أم تراه عطباً تعاني منه النفس البشرية تحت تأثير إغراء ما!

صمدت شخصية عابد في وجه رياح التغيير التي عصفت بجميع الشخصيات فلم تفقد إيمانها بمشروعها الوطني والاجتماعي، وكان فضاؤه القرية حيث ولد وكبر وتعلم، ولقد حقق بذلك المقولة الإغريقية المعروفة (في رأس كل فيلسوف هناك فلاح يحرث أرضه ويزرعها ويحافظ عليها).

هذيان الغول على لسان كينيدي ومحاكمة القتلة

كتبت: تحرير مرتجي

يقول الفلسطيني المثقل بأوجاع شعبه في قصة (رسالة إلى فانيا): وأن غزة ليست بلداً أو حتى مدينة أو قرية، إنما قطعة من جحيم، لا لون فيها غير الأسود.

هكذا يبدو الحال في جميع قصص الروائي الفلسطيني يسري الغول، إذ إنه يحاول تسليط الضوء على واقع المدينة التي يعيش فيها بشكل مغاير عن السائد، فهو الفنتازي المبهر، صاحب البصمة الكبيرة في المشهد الثقافي في قطاع غزة.

ومع القصة الأولى «دير شبيغل/ المرآة"، تبدأ القصة مع الميت الذي وجد قبره مفتوحاً فقرر الهرب، يحلق في الفراغ حتى يلتقي المرأة، ثم يستعيد حكمة الجدة "الحياة... ثوان معدودات، فاحمل نفسك وهاجر إلى قلب تحبه"، لكن الرجل يضيع ما بين الموت والحلم، والموتى نيام حالمون، لديهم قصصهم التي يتداخل فيها الواقعي بالخيالي، وغالباً ما يجري ذلك لمجرد شعور الشخص بالاغتراب عن واقعه اليومي المباشر، سياسياً كان أم اجتماعاً، وتحويل ذلك الواقع إلى مادة للسخرية.

ورغم أن العمل الأدبي تشبع برائحة الموت وشبح الاغتيالات والحروب إلا أنه لا يخلو من الحديث عن الحب والمغامرات العاطفية وعبث العاشق كما جاء في قصة دير شبيغل.

يسري الغول المعروف بموسوعيته يحاول أن يصنع لنفسه مدرسة جديدة في الأدب العربي في محاولة للانقلاب على أشكال السرد والمدارس المتعارف عليها، ويحاول دمج الواقعي بالسحري بالفنتازي وصولاً إلى تشكيل البنيات السردية كما يجب لها أن تكون حسب وجهة نظره، وأظنه نجح بشكل كبير في تحقيق هدفه، إذ إن متلازمة الموت في مجموعاته السابقة: الموتى يبعثون في غزة وقبل الموت بعد الجنون وعلى موتها أغني ثم نساء الدانتيل وخمسون ليلة وليلة جعلت من هذا الكاتب صاحب مدرسة بإعادة حيوات من غيبهم الموت ليكون الموت أول القصة وليس نهايتها كما هو سائد في الأدب والحقيقة.

الغول لم يجد الجمال في مدينته التي تعج بالموت والفوضى، فاختار أن يصنع في برزخه عالماً جميلاً، مع العودة بالوراء -فلاش باك- للحديث عن الظروف التي أوصلت أبطاله للنوم في قبور تعج بالقصص؛ فغزة بلا موانئ أو مطارات بينما المعابر مغلقة، لذا لا بد من صناعة أجنحة للتحليق في الفضاء الرحب.

يقول الروائي والقاص العراقي المعروف ضياء جبيلي عن «جون كينيدي يهذي أحياناً»: إن يسري يحاول خلق واكتشاف ميتات لشخصيات مركزية ذائعة الصيت... تستدعي تلك الشخصيات الواقعية لتوظفها في أجواء غرائبية وعوالم مختلفة وقوالب جديدة تعيد صياغة الموت على خلاف الطريقة الشائعة، إنها سرديات ما بعد الموت/الاغتيال.

ويسري، الذي يمكن لمس وجوده وحضوره اللافت كجزء من النص أحياناً، مستفيداً بذلك من حقه في بلوغ أقصى ما يمكن من خيال، الأمر الذي يرى فيه جبيلي أنه "يضفي على التجربة طابعاً بعيداً عن التقليدية والقصدية، قريباً من الرمزية التي تحاول إيصال رسائل يمكن استشعارها في كل مرة ننتهي معها من قراءة قصة.

ووصف جبيلي هذا العمل بأنه "مجموعة قصصية مختلفة ورائعة"، أعاد من خلالها يسري صياغة الأحداث التاريخية الكبرى التي أدت في النهاية بالشخصيات إلى الموت بتلك الطريقة، لتكون بعد ذلك المادة التي يرسم بوساطتها الكاتب سير وأحداث مشاهد مختلفة.

يسري الغول، المخلص للقصة القصيرة، رغم أنه أصدر روايتين سابقتين: غزة 87 ومشانق العتمة التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر، حاول من خلال قصص جون كينيدي يهذي أحياناً أن يثبت أقدامه كأحد أهم كتّاب القصة، حيث استلهم عوالمه من قراءات عديدة لأدباء عالميين وعرب حاولوا الخوض في الماوراء وتخيل مشهدية الحياة بعد الموت، وخصوصاً أن الأدباء المسلمين يخافون الحديث في تلك العوالم بشكل مجنون كما فعل الأخير، وحاول تجاوز كل رؤى أدباء أمريكا اللاتينية ودعاة الواقعية السحرية وغيرهم.

سبق أن تنبأ غريب عسقلاني (شيخ الروائيين الفلسطينيين) بالكاتب الغول، حيث ذكر في أكثر من مقالة قبل رحيله وكذلك في أكثر من لقاء أن الغول يصعد نحو العالمية بشكل واضح، وهو مجدد حقيقي يمتاز عن أقرانه بمعرفته الموسوعية وقراءاته المتعددة للأعمال العالمية بلغاتها الأصلية، فهو المسافر وخريج الأدب الإنجليزي، إلى جانب ذلك فغريب عسقلاني وغيره من مثقفي وأدباء فلسطين يؤمنون أن ليسري الغول دوراً وطنياً وإنسانياً واضحاً، حيث يسعى إلى تعزيز هويته من خلال تأسيس تجمع قرطبة الثقافي فترة الانقسام الفلسطيني، وجمع كبار الأدباء والكتاب والإعلاميين من النخبة الفلسطينيين على طاولة واحدة للحوار وتبني ثيمة "تقبل الآخر"، كما أنه قام بتأسيس مبادرة شغف الثقافية التي جمعت الشبان -أبناء الجامعات- ليستمع لهم ويساهم في تطوير ميولهم الثقافية والأدبية ثم تنمية قدراتهم وصقل مواهبهم، كما أنه صاحب فضل كبير على كثيرين بطباعة أعمالهم وخروجها للنور، وأنا واحدة من هؤلاء، أدين بالشكر لهذا الملهم الذي قدمني لإحدى دور النشر فصدر كتابي الأول: السر يكمن في تفاصيل صغيرة.

الروائي والقاص الفلسطيني يسري الغول هو خريج برنامج تحالف الحضارات بالأمم المتحدة، شارك في مؤتمرات عالمية ساهمت إلى جانب القراءة الغزيرة، صقل كاتب محترف هو الألمع في جيله بالأراضي الفلسطينية، وقد صدر له العديد من الأعمال الروائية والقصصية.

ذاتَ شتاء

قصة: كوثر سمعان

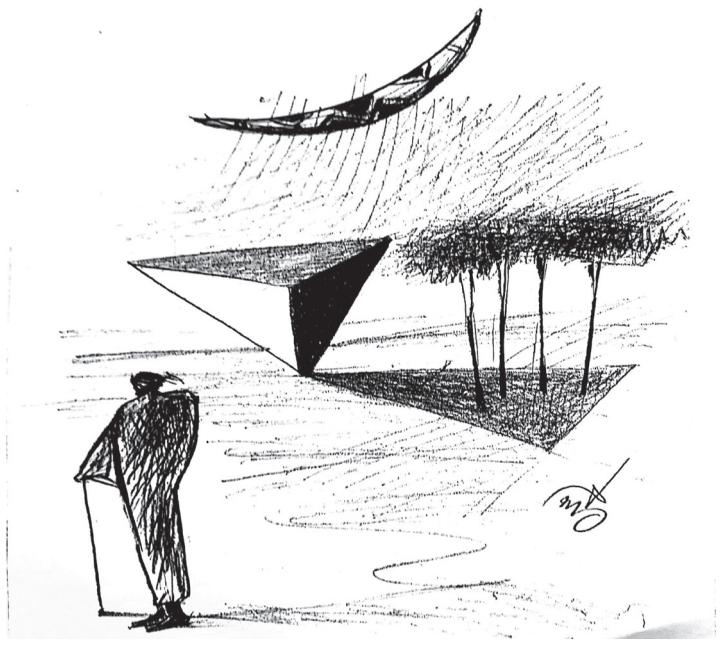

ذاتَ شتاء.. خرجتْ من عملها سيراً على الأقدام... كانت تمشي بسرعة وعقلها مشتت ما بين الحقيقة وما قد حدث!

وهي التي تحاول أن تجد أول خيط في قضية قتل الطفلة التي ادّعى أهلها أنها شربت من ذلك الحليب المعلّب.. وماتت على الفور... أفكارها انهالت عليها كالمطر فقد سمعت منذ ساعات أن العاصفة في طريقها إلى المدينة وها قد وصلت فعلاً.. شردت بأفكارها المتضاربة إلى أن استفاق شرودها على صوت «زمور» سيارة وأحدهم قد أخرج رأسه من الشباك ونهرها.. فاعتذرت ومشت على الرصيف... أحسَّت بأنَّ كحل عينيها قد سال... وقفتْ تحت أحد الأسقف تختبئ من المطر.. وعلى يسارها مرآة سيارة.. نظرت في المرآة لتمسح وجهها وتحاول تصفيف شعرها المبتل.. لفت نظرها ضوء داخل السيارة ولاحظت وجود مفاتيح وجهاز جوال وعلبة سجائر وبعض الأوراق.. يبدو أن أحدهم قد نسي أغراضه داخل السيارة.. وفجأة أصدرت السيارة صوتاً.. رفعت رأسها فوجدت مقابلها شاباً وسيماً يلبس سترة صوفية رمادية اللون وقد فاح عطره واختلط مع رائحة المطر.. تسمّرت في مكانها ولم تستطع أن تفارق وجهه الجميل وعينيه...

ابتسم الشاب وعرض عليها أن يوصلها... لكنها رفضت بحجة أنها لا تصعد سيارة مع غريب!!... فابتسم الشاب مرة أخرى وصعد سيارته وأكمل طريقه.. تمنّت لحظتها لو قالت له نعم خذني معك.. أنقذني من ضجيجي!... ووحدتي!... عندها فقط أدركت أنها وقعت في شباك عطره... لكن لا... كيف لها أن تقع في حب غريب من نظرة أولى؟ أكملت أدراجها بسرعة وصلت إلى البيت ودخلت غرفتها ورمت نفسها محمّلة بأغراضها وأوراقها فوق السرير نظرت إلى السقف ولا شيء في مخيلتها سوى عطره وابتسامته ووجه الطفلة الميتة!

وللقصة بقية... وبعضٌ من أحلام

2

أخلد إلى سريري كل ليلة في الموعد نفسه وأبدأ بتحويل أفكاري السلبية إلى مؤكدات إيجابية كما نصحوني أن أفعل... وأنا أستمع لمقاطع فيديو عن التنمية البشرية والنفسية وقراءة الفنجان والأبراج وبعض أفكار الفلاسفة الحمقى..

يا له من عمل ساذج أفعله كل يوم وأنا أمسح أحمر شفاهي المصنوع من بقايا الأبقار كما سمعتُ ذات مرة!

يا للهول! كيف لي أن أصدق جمالي في المرآة وذكائي الغبي؟ وأنا أحاول سدّ كل المنافذ لمنع صوت الموسيقا الصاخبة لجارتنا السعيدة التي تسكن في شقة أشبه باللا شيء من فقر وسوء تصريف!.. ومع ذلك فهي تبدو كجولييت بالنسخة القبيحة عندما تحتضن زوجها الذي يأتي متسخاً من عمله وأكاد أتقيأ عندما أشم رائحته التي تفوح في البناء.. لدرجة... أكاد أبكي من فرط دهشتي فهل أصدق أنها سعيدة بكل هذا القرف؟ نعم إنها كذلك!

وليست مثلي تعيسة حمقاء بكل ما أوتيت من نعم الله علي أو كما يُقال!

أتجرع فنجان قهوتي الصباحي الذي لطالما اقتنعت أنه سر سعادتي مع أنه يبقيني في حالة قلق وذعر.. وأنا أشاهد جارنا الذي يقطن في البناء المقابل وهو عائد من (الكاباريه) وقد تقيأت إحداهنّ فوقه مقابل بعض المال... لكن هذا المال سيشفيها من قرف ما تفعله وهي تدفن رأسها في وسادتها كل صباح!.... ويدخل جارنا ليقنع زوجته أنها أشرف وألطف النساء... نعم إنها كذلك... لقد كنتَ في مستنقع أيها الأبله!

أتأمل رسائل الغرباء... كل يعدني بأنه سيلتقط النجوم ويحضر لي القمر.. ومع أول فرصة يخلع رجولته ويهرب مني وكأنني شبح مخيف!

أضحك من فرط شقائي وألتقط صورة سيلفي وأنا في مكتبي وأقرأ من كل كتاب بعض الصفحات... فما عادت الكتب تعنيني كالسابق.. فكل الصفحات والكلمات كاذبة وغبية!

وأقول في قرارة نفسي يا له من ساقل ذكي!

البكاء عجزًا

قصة: عمر الحمود

«إنها لك، فخذها، وهيّئ أفراسك لسباقٍ طويل».

كلّ شيء حول الرجل قال هذا.

«هو لك، وهذه الليلة ليلتك».

عيون النساء باحت بهذا.

وتُوِّج ذلك بموافقة ولي وحضور شاهدين وعقد شرعي.

تهادت أمامه بفستان الزفاف، تضوّعت منها رائحة الحنّاء، وحصّنت دفاعاتها، لكن حين اختلى الرجل بالمرأة، والتقت عيناه بعينيها، لفحها إعصار الشهوة، وانهارت دفاعاتها الحصينة، وأسلست له القياد، مدّ يده، ولم تمانع، خفف ثيابها، ولم تقاوم، وهدلت حمامتان في صدرها تريدان يديه عشّاً، وتألّق جسدها زبدة موسم خصيب، وكلّ ما فيها يناديه.

التهمها بعينيه، وتقدّمت يداه، مسحتا ساحاتها شبراً شبراً، وقبل أن يلتهب داخله، فاجأه وجهٌ يختلف عن كلّ الوجوه التي عرفها، هذا الوجه لم يتركه يهنأ منذ أن عرفه، اخترق الجدران، واقتحم عليه الخلوة، وأطلّ عليه نحيلاً صغيراً، اتسع رويداً رويداً، أقصى وجود المرأة، وملأ الغرفة ملطّخاً بالدمع والتراب والدم، لوّح روحه، وهيّض قلقه.

صُعق الرجل!.

كلّ شيء توقّعه إلا أن يحضر الوجه يوم زفافه، ويشاركه غرفة نومه، ويفصل بينه وبين عروسه.

صال الرجل، وجال، عارك الوجه، وتمدد الوجه، ورسا أمامه رسو الجبال.

توتر، وضاقت أنفاسه، واستغربت المرأة ارتخاءه وبروده!.

حاول إبعاد الوجه مرةً أخرى، جمع قواه، وهُزِم، وحاصره الوجه من كلّ الجهات.

وتفصّد جبين الرجل عرقاً، وبُهتت عيناه كعيني نعجة شاردة، ونخر العجزُ العصبَ واللحم والعظم فيه.

صُدمت المرأة، هي في لهيب، وهو في صقيع، ولم تكن ليلة حمراء كما توقعتها، وسمعتْ من الأخريات عنها.

حاولت تنعيم الدرب له، تثنّت أمامه خيزرانة ريّانة مذهّبة، همست برهافة شاعر، ولمست برقة متفائل، داعبته بظرافة، وتفتّح جسدها وردة فوّاحة، وبقي الرجل شجرة خريف!

طأطأ رأسه بانكسار، وأقعى على طرف السرير بخجلٍ وصمت.

وشتم الوجه سرّاً، فقد أوقد ناراً، وتركه حطباً لها: أيها الوجه العنيد لو كنت رجلاً لقتلتك.

تألّم دون أن يُشعر المرأة بذلك.

واستعدّت المرأة لنزاله دون أن تُشعره بذلك، وظلّ في سكونٍ وجمود.

وتذمّرت المرأة، فالفراش من دون شريك فاعل أشواك عاقول وبلان وقندريس بري، وغفت على أملٍ في ليلةٍ أخرى.

وخلال النهار توالت إلى أذنيه وشوشات مريبة، تدور حول ضرورة رفع خِرقة مصبوغة بدمٍ كما درجت العادة في الحارة الشعبية.

وفي الليلة الثانية أفرغ ذاكرته من الوجه، وتقدّم بعزم من المرأة، ليُثبت لها أنه رجلٌ من ظهر رجل، لكن الوجهَ استطال أمامه، وتربّع.

وتدفّقت سيول الرغبة في المرأة، وانحدرت من علٍ بطمي الخصب والشهوة، فحررت ضفائرها الطويلة، ودلّكت جلدها اللبني، وتأوّهت، وخلعت قميصها الياقوتي القصير، ونهضت، وماست حورة فرات، ومادت مع النسيم، وعادت إلى السرير، وانحنت على الرجل غمامة حبلى بالضوء والظلال والمطر، ولم تبتسم لها أراضيه.

واتسع وشمٌ أسفل السرّة، وفوق الزُهرة، وكواه بتعليقٍ لاذع: كنت رجلاً على الغير، وتقهرك اليوم أنثى!.

ولم تُحبَط المرأة، بادرته منتصف الليلة، لبست ملابس شفيفة، تكشف مناطق الفتنة دون أن تعرّيها، وجاءت بفنون إغواء جديدة، ولم يتحرك مثلما تريد، ابتعد عنها بقدر حاجتها إليه، وأسدلت الستار على محاولاتها.

واجتاحها قلقٌ بيانه ساطع.

واستهلك الرجل علبة دخان أخرى، واستحضر أول مرة أمسك فيها السيجارة، ووضعها بين شفتيه، ورأى نفسه صغيراً مع ثلّة من أمثاله، يشترون علبة دخان من وفْر عيدياتهم، ولم يجدوا مكاناً أميناً للتدخين سوى المقبرة، وحين رصدتهم عيون واشية خافوا من عقاب الكبار، ودخلوا ساحة مقام أويس القرني في وسط المقبرة، وحين عرف بأمرهم خادم المقام روّضوه برجاء مع سيجارة، وفي الأيام اللاحقة سمح لهم بدخول حرم المقام المسوّر، وفي يد كلٍّ منهم سيجارة يقدّمها له، وبات يجالسهم، ويدخّن معهم بعد خروج الزوار...

وتسرّب من المدرسة، وأخفق في تعلّم مهنة، وانحرف مع جماعة لا تأبه بعرْف أو قانون، وتطبّع بطباعها.

استطرد في ماضيه، وغاصت المرأة في أعماق الهواجس.

وفي الليلة الثالثة أعدّت له ما يستطيب من طعام وشراب، وأتبعته بقهوة، جمع الأزرق الفيروزي أبّهته عروقاً على فنجانها، وارتعش لملامسه أناملها، وتدرّج الأحمر على خدّيها، وتفنن الأرجواني، ولازم شفتيها، واقتربت منه بدراً من شهد وعري وفتنة، وناداته بنداءات الشهوة، فساطه الوجه بسياط العجز، وأبقاه تمثال ثلجٍ واه.

استجدى الرجل عوناً بَعُد عليه، وظلّ على عجزه القاتل.

ففتُرت عاطفتها تجاهه، وتدثّرت بمنامة حرير.

وصار العالم حوله خرم إبرة، وعاداه الرقاد، وقبيل ارتفاع الشمس خرج إلى الشارع مذهولاً من خمولٍ مخجل، يئن بصمت كالموجوع: أيّ لعنة حلّت عليّ؟

وخلسةً راجع الطبيب، اختصر معاناته بأنّ في نصفه الأسفل هشاشة ورخاوة، وأخفى عليه بأنه اشتعل عند صبية رافضة، وتحدّته بدعاء: حرمك الله من الرجولة، وجعلك خنثى لا ذكراً ولا أنثى.

وما زال وجهها يطارده.

وبعد المعاينة طمأنه الطبيب، لا علّة فيه، مسألة نفسية أو واقعة عارضة.

وأمدّه بمنشّطات، لكن الوجه وقف حائلاً بينه وبين المرأة، وجذّر عجزه شجرة لا يهزّها عاصف.

وزوّده بعقاقير، ولم تنفخ ناراً في رماده.

راجع الشيخ في كوخ القصب، وقد ادّعى أتباعه بأنه يعيد المطلّقة، ويزوّج العانس، ويبطل السحر بواحدة من التمائم.

فوجئ الشيخ بمخاوفه، وتمتم بتعاويذ غامضة، فكيف يصل إليه السحر وهو في برج مشيّد؟

وفتح كتبه الصفراء وأحرق أعشاباً عطرية برية، ودار بين الطلاسم، ولم يجده مسحوراً أو ممسوساً، أو عليه أثر عين أو شرّ حاسد، ونصحه بتغيير السرير والملابس، وإلحاق الوجبات بملاعق عسل ملكي وشرب الزنجبيل والإكثار من البهارات والتوابل والجرجير، وشراء خروف للشيخ ليوزّع الشيخ لحمه على الأرامل.

فطبّق ما قيل له، لكن الوجه اللعين يفهم جميع اللغات، جمع في ملامحه ألف شيطان، وطارده في كلّ الأماكن، وجعل عجزه يستفحل كسرطانٍ فاتك.

عاف الزاد والدنيا، وتهاوى على الكرسي، وتتقطّع أنفاسه كأنفاس مخنوق يُنازِع.

وفي محاولة أخيرة تفرّعت شجرة رند، رائحتها دخلت مساماته، ولم تفوّر العصب البارد فيه.

خار الرجل، وتهاوى، ولن يفلت من الوجه ولو دخل بطن حوت في عمق بحر مظلم.

بكى عاجزاً منهاراً.

وتحولت الغرفة الواسعة المؤنسة إلى قبر ضيق موحش.

وطال انتظار المرأة، وطال عجز الرجل، وَثُبتَ الوجه، وجه صبية اشتهاها، وعند الرفض حوّل وجهها إلى عجينةٍ من دمع ودم وتراب.

وجاءت لحظة المكاشفة، فمحت المرأة اسمه وعنوانه في دفترها، وحملت حقيبتها، وتلَت عليه ألواحها، وختمت قائلة: حين تكون رجلاً اتصل بي، فقد أعود إليك.

وأغلقت باب الدار وراءها.

بقي مهزوماً صامتاً، يسمع ضربات قلبه المتسارعة.

وتظاهر بأنه غير مهتم أو مغتمّ، وأدغل داخله القنوط والخراب.

سورية يا حبيبتي

قصة: جوري أبو صعب

لن يفيد الكلام، لن يفيد الكلام، لن يعيد جفاف الحبر الوطن الغالي.. كلما اصفرت الكلمات يا سورية، وتصدعت الحروف وخرج الحبر من أصابعي وانطبع على جبين الورق.. تذكرت الوطن الحالم، تذكرتك تتألمين، تتأوهين وتتقلب أجفانك بين الضيق والفرج، استشعرت الكلام في عروقك، والوجع الذي يخرج من أوصالك، فيفتك حبر النثر، والشعر، والكلام.. ويخرج الحريق من صفار الخريف... كلما أتى الخريف يا سورية، خاطت قلوب الأطفال المكلومة كفن الشتاء، وسقط جلدهم، ولحمهم، وشعرهم، في بحر الدماء، وداهمت الحروف سكتةٌ دماغية، فوقفت مشلولة متألمة عاجزة عن التعبير أو الكلام.. يا ربي، متى ينتهي هذا الشتاء؟ ومتى تعود الجلود المهمشة، والمقطعة والمفككة، إلى حالها الطبيعي؟ يا ربي، لقد طال هذا الشتاء، واستمر عشر سنين، وسنين، وسنين... يا ربي لقد آلمنا هذا الشتاء... فمتى ينتهي، يا رب العالمين؟ يا ربي، أنا أبحث عن الوطن، تحت أظفاري، وبين أصابعي، وفي بقايا الألم ومرارة الكلام، يا سورية، متى يصدق الكلام؟ أرجوك يا ربي اجعلنا نذهب إلى الوطن فأنت الكريم... كل ما كتبت عن هذا الموضوع، تكور جلدك أنت يا سورية والتف على واجهة الورق، وخرج دمك من الفتحات التي تكونت بعد كتابة الحروف.. وكأن الحروف انشقت ولم تكتب، وكأن الكتابة أصغر من التعبير عن الأوجاع.. وبعد كل هذا، من الواضح أن الكلام لم يخرج من القلم، بل خرج من القلب،، والأكبال التي تلف القلب أشد من تلك التي تلف القلم.. يا سورية، يا حبيبتي، يا نبض قلبي، أخبريني، ما كل تلك الأكبال التي تلفك وتلفنا؟ وصرنا هنا، وها هو الحبر يا سورية، قد جف وتقشبت شفاهه، ومرت عليه سنوات جفاف وعجاف ولا يزال، لم ينفع، ولم تنفع الكتابة به، ولم يحل أزمتك.

طالبة سورية في الصف العاشر تقيم في الإمارات

كلما رأته

قصة: ربى منصور

في تلك الساعة عجزت زهرة عن فهم الشعور الذي انتابها، ومنعها من الانصراف إلى الخياطة.

كان الحنين إلى طفولتها. قبل الحرب. موجعاً حد البكاء، غامضاً كإبهام لوحة تجريدية، ثم استرجعت حفل ميلادها المتواضع مساء البارحة فتحولت أعماقها إلى عالم هادئ تغمره السكينة.

ليس أي عمل تنجزه عديم الفائدة، ولا الحياة تافهة تعبر دونما جدوى، مثلما يصورها عادة ابن عمتها سالم، ويحاول إحباطها دائماً، ويزرع اليأس حول روحها التي تذوي مثل الزهر كلما رأته.

بقعة من القتامة ترتسم في أعماقها بعدما يغادر، ويغمرها شعور مبهم ينزع الدعة التي تخامرها أثناء الخياطة أو التسوق ولقاء صديقتها ثم تصوير «فيديو» الرقص.

غالباً يصف سالم اعتياده على أزمات الحرب في سورية والفقر والغلاء وكثرة المتسولين في الشوارع، كما يؤكد إيجابية الموت وفقدان المعنى والأحاسيس لديه.

لا تدري لماذا يريدها أن تشبهه؟ أو كيف يحارب روحها التي تقاتل الخزي وتهوى الحياة بأداء أي عمل وحسب؟

لا ريب تعني حياتها شيئاً ما، وبنشاطاتها المتنوعة تبتعد نوعاً ما عن عالم البؤس والمشاحنات، وتقترب من آخر مسالم يعارض المرارات شعاراً للأيام.

تركت زهرة أفكارها تسرح. سوى الإبرة لم تمسك، ثم حركت أصابعها وعطفت يدها يميناً ويساراً، رفعاً وخفضاً، وبدهشة هتفت فجأة:

كيف لم أنتبه؟ كيف؟ أنا المفعمة بالصحة تنخفض معنوياتي أحياناً وأشعر باليأس والخواء. الضعف ينتابني فأحاربه بالتأمل والثقة بالله والعمل، ربما كَرِهَ سالم الحياة بعد فقدانه ذراعه وعجزه عن العمل بالصناعية التي وضعت بدل المقطوعة في الانفجار، كيف لم أنتبه أنّ حب الحياة مختبئ في أعماقه؟ وما وصفه لها بالتفاهة إلاّ رد اعتبار لذاته الضائعة بين الفشل والعجز ورغبة النجاح وعدم قدرته على مواجهة العقبات.

في ذلك العصر قررت زهرة دعوة سالم فوراً.

لدى مجيئه فهمت نظراته إلى يديها حاملة أكواب الشاي بصينية من خشب، وكانت قد فكرت بأن تدخل «سالماً» في مشروعها الافتراضي، وتصوره معها أثناء تأديتها دبكة «المطقطقة»، وتقاسمه الأرباح حتى لو بقي الربح كما هو الآن أو زاد بتراكم الإعجاب.

إثر انتهائهما من تناول الحلوى والشاي، قالت:

. شئنا أم أبينا نحن أحياء، الصدمات تغافلنا دائماً، لحماية أنفسنا من الخيبات ينبغي خوض الحياة، سأبثّ الآن «فيديو» المطقطقة الخاص بي معك.. كيفما كان أداؤك فسأواصل التصوير والنشر وسأعطيك قسماً من الربح، وهبك الله قدمين سليمتين فلتشكره عليهما، هيا.

هيّا ابدأ الطقطقة، وارفع قدميك بالدبك.

وسرعان ما حملت أغنيتها إيقاعاً نشطاً وبدأ سالم الدبك.

واصلت زهرة الحركة والطقطقة بحذائها الرنان وبين الفينة والأخرى راحت تسترق النظر إلى سالم بقلق إذ كان يدبك بارتخاء ولا مبالاة.

وما كادت ترتسم على وجهه ابتسامة فيما بدأ يغني بحماسة، وقدماه قد ارتفعتا أكثر وهوتا بقوة على الأرض، وكررتا الخبط حتى التمعت عينا زهرة بفرح ونوع من الأمل والفوز.

ذهب أيلول!!

قصة: إباء فاروق هواش

في مثل هذا الوقت من كل سنة تتلو على الأيام حكاية هذا الشهر..

ما زالت خربشات أيلول باقية على زجاج روحي لم يمحها الزمن بل تعايش معها وأحبها..

اليوم مشيت طريق مدرستي الإعدادية «س × ح» كم وكم سرت في هذا الشارع!

المباني نفسها.. المحال التجارية.. الرصيف.. الأشجار لكنها « ليست هي»!

صور كثيرة تزاحمت في الذاكرة وشقت طريقها إلى القلب والوجدان..

تذكرت كيف كان هذا الطريق بكل ما فيه يبتسم لي..

لعل هذا الطريق هو أول اختباري لشعور الحرية بعد أن كنت مقيدة بحافلة النقل الخاصة بالمدرسة..

كنت أمشي سعيدة.. مسرعة كما الطيور غير مكترثة لشيء..

وعند وصولي مدرستي أتأكد أني قد وصلت بالوقت المحدد.. وأحاول أن أدخل من مكان لا تراني فيه «الموجهة» زرقاء العينين «التي كانت حازمة جداً».

وعلى الرغم من محاولاتي ألا تراني كانت تلحظني بمجرد دخولي وتشير لي أن أفتح حقيبتي للتفتيش «تعلم أني أخبئ كرة الطائرة التي كنت أشغف بها آنذاك».

أذكر كيف كانت مدرسة اللغة العربية تميزني على صويحباتي، وترمقني بنظرات الإعجاب لإجاباتي الصحيحة فتحفزني بعبارات الإطراء والمديح..

يضحكني الغرور الذي كان يأخذني وأسارع الى تغليفه بثوب من التواضع!

«اعذر نفسي لصغر سني»

لكن هذا الغرور كان يتلاشى بمجرد دخول مدرّسة اللغة الفرنسية التي كانت تكرهني كما كنت أظن حينها..

نعود إلى الآن

الآن أمرّ من الطريق نفسه.. لكن ألوانه صارت باهتة باردة بعد أن كانت تضجّ بالحيوية والجمال!

بدأت أطارد الواقع بالأسئلة..

يا الله كيف كنت أرى العالم من حولي؟

كيف انتقلت قسراً أيامي التي كانت تعزف النغمات الموسيقية بانسيابية وإتقان إلى هذه الواقعية والجدية المفرطة؟

كيف كنت غير مكترثة بأمر من أمور الدنيا..

لا شيء يعكر صفو أيامي لا شيء يشغل بالي سوى بضع كلمات أحفظها ليلاً لأتلوها نهاراً في مدرستي..

وتنتهي مهمتي في الحياة!

كنت أقرأ كتاب الحياة بحروفه الزاهية الواضحة لكنه اليوم تبدل إلى لغة لا أعرفها أو لا أريد أن أعرف، فكان عليّ أن أعاني في تعلّم اللغة الجديدة..

ذهب أيلول وجعلني أواجه الحياة وجهاً لوجه.

من مطر الى ورد

كتبت: دعاء فاضل بطيخ

من روايتي: «رقصة حواء والمطر»

تتوهُ المسافاتُ بيننا طويلاً يا ورد.. ودائماً تخبريني كمْ فيها من حصى.. قد كانَ لقاؤنا شقياً.. ليبوحَ الحب بما نوى.. تعثرنا في الحصى سوياً.. وذابَ الهَوَى بما هوَى.. النفسُ تائهةٌ في المدى

بين الواقع والمشتهى.. انتظاركَ كانَ جميلاً.. لكن جمالهُ قد انتهى.. لا لم ينتهِ يا ورد..

فأنتِ أبدية.. أتعلمين ما الأبدية يا ورد؟ هي بقاؤكِ بعد رحيلك.. كأثر صوت الموسيقا في الروح بعد توقفها.. لا لم ينتهِ يا ورد.. فأنتِ الحياة.. أتعلمين ما الحياة؟ هي أن أدرك أنني أغرق، لكن الروح هي التي تطفو بعيداً عن جسدي.. تطفو إليكِ.. لا لم تنتهِ يا ورد.. فأنتِ السعادة.. أتعلمين ما السعادة؟ هي أن أعلم أنني أهلك لكن شعوري بالخلود ذكرى لا تمحى أنتِ تُحيينَ ذلك الشعور.. خمرة الحلم أنتِ تكوير الكون كله داخل عينيك.. وصوت الصمت بقربك.. وروحك التي تداعب روحي دون أن تشعر.. وكأس متصدع مملوء بالأسرار وبقايا شفاهكِ عليه.. أنا بقربكِ أشبه بسطور لم يُكتبْ عليها.. لكنها مملوءة بالحروف والحكايا.. شموع مطفأة لكنها تنير.. ومطرٌ بارد لكنه يدفئ.. خمرة الحلم أنتِ.. سائل معتق لقرون.. داخلها أنا.. ودمغتها أنتِ.

مطر

بَعيدونَ جداً وعابِرون

شعر: محمود حامد

وَنَحنُ الذينَ بعيدونَ جداً؛
نُحبُّ وَحشةَ البَراري البَعيدةْ
نُحبُّ عُزلَةَ الطّيورِ في الجبالِ؛
وهَسْهَساتِ ريحِ الدَّوالي؛
وما يَبُثُّهُ النَّايُ فينا؛
من الغناءِ الذي كانَ كاسَ القصيدة

×××

نُحبُّ الذينَ سَرَوا في دمانا
غَماماً نَديّاً.. كَعُشْبِ الصَّباحِ
بأن يَستريحوا بنا في أماسي هَوانا
بَعيداً.. على خافِقاتِ الجَناحِ
صُعوداً لأعلى أعالي صبانا
وما يَشْتَهيهِ النَّدى في الأقاحي
فَمُرّي قليلاً؛ كأنّي بشالِكِ
ظلَّ الصَّدى.. في شِفاهِ الرِّياحِ!

×××

سَلاماً عَليكَ؛ تأخَّرتَ جداً؛
وما زِلْتُ فيكَ جُنونَ انتظاري
على وَعْدِ جُرحي لسَبعينَ عاماً؛
أُقلّبُ في الجُرحِ مَوتي وثاري
وسَبعونَ أخرى.. على زيفِ وَعْدٍ؛
تركنَاهُ تحت رُكامِ الغُبارِ
وَبَيْني وبينكَ ما عاشَ فينا
حِصارُ الأحبَّةِ فَوْقَ الحِصارِ
فذرنا نُلملمُ ما قد تَبَقَّى
ونحلُم جدّاً: بأهلٍ ودارِ
وأفرغُ في الليلِ كاسي ظُنوناً
بأنْ ألتقيكَ: مُجافي ظُنوني
ولكنَّ ما كان حولي مُريباً
سيبقى يُثيرُ الأسى في جُنوني
مَلايينُ هذي العُروبَةِ وَهْمٌ
سُقيناهُ قدَّ العمى في العُيون
وطفل أَبيٌّ شهيدٌ نبيٌّ
هُو الآن عَصْفُ الرَّدى في يقيني
فما دام فينا فَتًى من لهيبٍ؛
فما السَّاحُ إلاّ.. لطفْل المنون!

أنتَ كالوطن

شعر: فردوس النجار

شرَعتَ تضيءُ لي رِئتي
وَترحلُ فيَّ سَكرَانا
فتمْهرُ كلَّ أوردتي
كأنَّ الليلَ ما كانا
وتثوِي في رؤى روحي
غزيرَ الوجدِ رَيَّانا
تصيرُ الدربُ أنهاراً
وَأشرعةً وألحانا
وَأصعدُ فيكَ كوْكبَةً
تعطرُ فيْ سجايانا
ألستَ صبابةً للقلبِ
ترقصُ آنَ ملقانا؟
وبدراً مريميَّ الوَجْهِ
يشفعُ فيْ خطايانا؟
لمَ الأيامُ تسْبقنا
وَتعبثُ فيْ قضايانا؟
ألستَ تميمَتي الفيروزَ
أعشقها.. وَترعَانا؟
لدَيكَ مَبَاهِجُ الدنيا
إذا وافيتَ دُنيانا
تلجُّ عذوبةُ الأعنابِ
نزفاً في مرَايانا!

بِـمَ التَّغنِّـيْ؟

شعر: فوزي الشنيور

بِمَ التَّغنّي ولا حُلْمٌ ولا أَمَـلُ
ولا غيُومٌ سَتأْتِيْ بعْدَهَا الْإِبَلُ؟
أُرِيْدُ دَرْباً منَ الدُّنْيَا أَمُـرُّ بِهِ
وليْسَ منْهُ يَمُـرُّ النَّاسُ والْكَلَلُ
أَمْشِيْ إِليَّ وَحِيْداً غيْرَ مُكْتَئِبٍ
مَا دُمْتُ أَرْتَاحُ فِيْ وَحْـدِيْ وَأَكْتَمِلُ
إِنْ كُنْتُ أُمْسِكُ فِيْ ثَوبِيْ وفِيْ جَسَدِيْ
لأنَّهُ لا يُرَى فِيْ غيْرِيَ الْأَمَلُ
أُكابِدُ السَّيْرَ فِيْ بَيْداءَ شَائِكَـةٍ
لَعلَّنِيْ أَجْتَنِيْ الرَّيْحانَ أَوْ أَصِـلُ
وَلَسْتُ أَحْسِبُ للطَّوفانِ عَاصِفَةً
فَلِـيْ سَفِيْنَةُ نوحٍ صَانَهَا الْعَمَلُ
هَيَّأْتُ لِيْ عزْلَةً مَا كُنْتُ أَرْغَبُهَا
وإِنَّمَا باتَ لِيْ منْ بَعْدِهَا الْعَسَلُ
مَا بِـتُّ أَفْعَلُـهُ مَا لا يُبَـرِّرُهُ
إِلا إِذا عاشَ مِثلِـيْ ذَلِكَ الرَّجُلُ
مَا سَرَّنِيْ أَنَّنِيْ أَصْبحْتُ فِيْ أُفُـقٍ
إِذا تَـرَكْتُ مَـدَاهُ مسَّنِي الْمَلَلُ

×××××××

مَا لِيْ وللنَّاسِ، إِنَّ النَّاسَ أَكْثَرَهُـمْ
مَالوا عَنِ النُّورِ أَوْ مَالتْ بِهِم السُّبُلُ
يأتونَ حِيْنَاً بِشَيءٍ منْ دَمٍ كَـذِبٍ
مَا أَكْذَبَ النَّاسَ لَمَّا يَكْذِبُ الْعَمَلُ!
مَا عُـدْتُ أعرِفُهـمْ فَمِنْ تَشابِهِهِمْ
لا يُعْرَفُ الدُّبُّ منْ فِيهِمْ أَوِ الْحَجَلُ
عَانَيْتُ منْهُمْ الَّذِيْ يَقضِيْ عَلى جَبلٍ
لـو أَنَّنِـيْ جَبَـلٌ لَهُـدَّمَ الْجَبَلُ
وكَـمْ أَخَافُ مِنَ الْمَسْكِينِ بَيْنَهُمُ
إِنَّ البعوضةَ يَخْشَى نابَـهَا الْجَمَلُ؟
أغلقتُ بابيَ كـيْ أَنْجو بِبُعْـدِهِـمُ
لكنَّهـمْ ما دعُونِيْ حِيْنَ أَعْتَـزِلُ

×××××

ولِيْ على الأرضِ مَا تأتي الغيومُ بِهِ
ومَا تَحُـطُّ على أَنْحائِهَـا الهَلَلُ
سخَّرْتُ ما كانَ لِيْ أو كُنْتُ أَمْلُكُهُ
مِنَ الْجمالِ لكيلا تحْـزَنَ المقَلُ
وقدْ صَبرْتُ على مَا كنتُ أَكْرهُهُ
فربَّما يُجْتَنى منْ حَنْظَلٍ الْعَسَلُ
مَا همَّنِيْ أيُّ مجْـدٍ رامَـهُ رَجُـلٌ
وإِنَّمَا رمْـتُ مَا قدْ نالَـهُ زُحَلُ
وعِشْتُ أَسْبقُ منْ جَادوا بِزَهْرِهِمُ
وكنْتُ أَفْرَحُ لمَّا يثمِرُ الأَمَـلُ
وكنْتُ أَسْعَى ولكـنْ دونَمَا قَلَـقٍ
فالرِّزْقُ يَأتِيْ وأَنْ ينَأى بِهِ الْأَجَلُ
ولا أُجَامِلُ في شَيءٍ بِـهِ ضَـرَرٌ
لطالَمَا كَذَبَتْ فِيْ بعْضِهَا الْقبُـلُ
ولستُ أُعْطِيْ لِشيءٍ غيرَ قِيْمتِـهِ
كيْ لا يظنَّنَ غيـرَ نفسِهِ الْبَصَـلُ
وكمْ سعـدْتُ بخَيْـرٍ كنـتُ أَفْعَلُـهُ
وإِنْ جُزِيْتُ بِسـوءٍ ليسَ يُحْتَمَلُ
ولمْ أَقُلْ غيرَ مَا كانَ السلامُ بِهِ
ولا سلامٌ سوى أَنْ يُهْزَمَ الزَّلَلُ
لقدْ تَبَدَّلَ منْ حَولِيْ على صُوَرٍ
ومَا أَزالُ - أَنَا - أَعْفو وَأَبْتَهِلُ

(كانَ يكفي...)

شعر: عصام يوسف حسن

(١)

كانَ يَكفي.. أَنْ تُديري
غُرَّةَ الغَيم برِفْقٍ
في فَضاءِ الزُّرقَةِ المَخْمُورِ
كي أَصحُوَ من جَذْبِ السَّرَابِ...
أَنْ تَغُضِّي عِطرَكِ الدَّافئَ
عن رَيحانِ أشعاري
وعن مائي.. وحِبري.. وثِيابي...
كانَ يَكفي أَنْ تَفُكّي
قبلَ أَنْ تَغْفي على زنديَ
بعدَ الفَجرِ.. أزرارَ الضَّبابِ...
وتُغَنّي لي.. على ناصِيَةِ الوَجْدِ
عن البَحرِ..
وعنْ أَشواقِ (أُوديسْيُوسَ) والتِّيهِ
وأَسْفارِ الغِيابِ...
وعنِ النَّهرِ الذي تَسْري
على صَفْحَتِه الحَيْرى.. شُموعُ
وَمْضُها.. نَبْضُ قلوبٍ
ومَراياها.. دُموعُ
زَورَقٌ منْ وَرَقِ الحُبِّ
غَريبٌ في العُبابِ...
دُونَ مِجْدافٍ ولا سَمْتٍ
يُناجي حِبرُهُ المُنْحَلُّ في اللُّجةِ
روحَ الماءِ
كي تَقبَلَهُ.. نَذْرَ اغْترابِ...

(٢)

خارجٌ هذا الخَرابُ المُرُّ
والصَّمْتُ الفُجائيُّ
الذي يَغتالُ إيقاعَ المَواويلِ
وأَفراحَ العصَافيرِ
التي تَأوي إلى أَعشَاشِها
عنْ كُلِّ لُطفٍ..
خارجٌ عن كُلِّ لُطفٍ..
كانَ يَكفي... كُلُّ ما بي...
غيرَ أنَّ الحُلمَ لي كَهْفٌ
يَقيْني عينَ (ميدوزا)
ولي نايٌ على نافذةِ الغيبِ
يُناغي خُضرَةَ الآتي
كَطفلٍ هاربٍ.. منْ غُصَّةِ اليُتمِ
وأَهوالِ اليَبابِ...
ولِيَ الخَمرُ الذي يَقطرُ
من داليةِ الأُفْقِ..
وشَهْدُ القُبلَةِ الأُولى
وأَسرارُ الخَوابي...
وسَتَبْقينَ...كما شاءَ لكِ الوَعدُ
نشيداً.. في وَتينِ الحَرفِ
لَمَّا يَكْتَملْ بَعدُ
وفَجراً.. يَخزنُ الأحلامَ
خلفَ البحرِ..
فوق الشَّاطئِ المَرصودِ
بالأَنواءِ.. والحُمْرِ الرِّغابِ...
لم يَزلْ طِفلاً على بابي
وشِعراً.. في كِتابي
لم أَزلْ أُهديهِ.. أَعيادي
ويُهديني.. عَذابي

قصيدتان

شعر: ميادة أحمد حسين

حروف خرساء في ليلة ظلماء

تلك الحروف..
الباحثة عن ظلّ الدفء
في أسطر الورق قد بلّلتها دموع تهرب من مواجع الغياب..
هي لا تبوح بسرّها
تكتفي بنظرة للأفق الممدود
وكأنّها تنتظر غيثاً آتياً..
موحشة صفعة الخذلان
تخاطب ودّ الأمس
بعدما أنكرتها نظرة رجاء
وأشعلت الشجن
وكأنَّ الغد يشبه الأمس
والحاضر اعتلى سرج المدى
وأصبح خيطاً رفيعاً لا نجيد رسمه أو تحديد مساره..
يا لعناد الحنين
هل يستطيع الشوق كسر زجاج الكبرياء؟
حروف تستتر في نظرة فاترة
تستعطف نبضات أحاطها صمت قتول..
تطوي نفسها.. بنفسها
من يضمّد الجرح
في غياب بارد
وكأنّ قلبي
طفل شريد
عابس الوجنات

ليت الحروف

صامتة الوجد بمداري
وليتها..
لا تعتلي أشرعة قدري
متاهات.. متاهات
وفيض همسات تصرخ وتدوي
هل ما تبقى من الوداد يهوى الأنين
أم إنني أعيش حلماً ورديّاً؟
أيا مروج الحنين..
أنكتوي بالشوق مراراً ولا ندري؟
كلّ الأنغام تثار في دمي
وليت الألحان تناغي أمري
أقول أهواك..
وأجدد الأماني.. والأغاني.. والفؤاد يتمتم ولا يدري
ضمَّت الروح أمنياتي وألحان بياتي.. وكلّ ما يدور بروعي
ألا ليت الهوى يصغي.. بما أكن وبما أهذي
ويا وتري.. ويا لحني ليتك تدرك بياني وتمدّد بقريحه وجدي..

العدد المزدوج ١٦٦-١٦٧ من التراث العربي.. يصدر ورقياً

صدر ورقياً العدد المزدوج ١٦٦-١٦٧ من مجلة التراث العربي الفصلية المُحكمة الصادرة عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق.

في العدد مجموعة مهمّة من الأبحاث، ففي محور العلوم التطبيقية والتراث اللامادي نُشر بحث «دور علماء الحضارة العربية الإسلامية في تأسيس العلوم الحديثة، أبحاث الفضاء نموذجاً» لـ أ.د. عمّار النهار، وبحث «علم الريافة (استنباط المياه) والري في التراث العلمي العربي» لمحمد علي حبش، وبحث «خيال الظل العربي وتجديد النص والتقنية» لـ أ.د. فايز الداية.

وفي محور الأدب والنقد نُشر بحث «محاولات جمع شعر عبادة بن ماء السماء» لـ أ.د. عبد القادر صلاحية، وبحث «القلق الصوفي ودوره في صقل الوعي الروحي في نماذج من التراث الصوفي» لـ أ.م.د. ميساء علي يوسف، وبحث «الحيوانات المفترسة في المفضليات: دلالاتها وموضوعاتها» لـ أ.م.د. محمد فؤاد نعناع.

أما في محور الدراسات العليا فقد نُشر بحث «دلالات التشكيل البنائي لحديث الشاعر العذري عن الوشاة والعذال: شعر ((جميل بن معمر)) أنموذجاً» لنغم منهل ابراهيم بإشراف أ.د. عدنان أحمد ود. رباح علي، وبحث «السرقات المحمودة عند نقاد العصر العباسي: مفهومها وآلياتها» لمحمد هندي المدحلي بإشراف أ.د. عبد الكريم حسين.

أما افتتاحية العدد لـ أ. د. فاروق اسليم رئيس التحرير فقد حملت عنوان «في التجديد والحداثة».

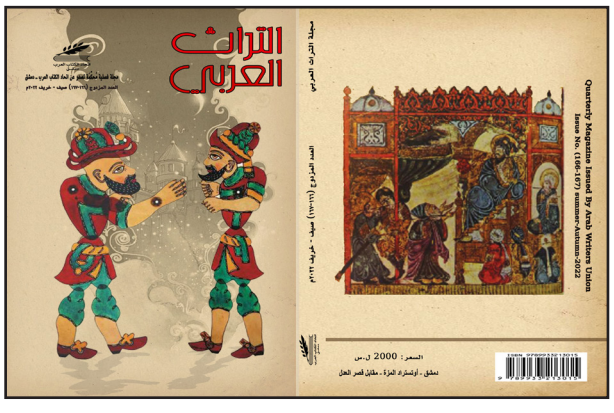

اتحاد الكتاب العرب يعلن نتائج مسابقة «التسامح والتصالح» في مجال البحوث والدراسات

أعلن اتحاد الكتاب العرب نتائج مسابقة «التسامح والتصالح.. ضرورة وطنية سورية» التي أطلقها العام الماضي 2022 في مجال البحوث والدراسات.

وقد قررت لجنة التحكيم منح الجائزة الأولى للسيدة صباح العلي من محافظة اللاذقية عن بحثها الموسوم بـ «التسامح والتصالح ضرورة وطنية سورية»، والجائزة الثانية لآلاء ياسين دياب من محافظة حمص عن بحثها الموسوم بـ «تغيير المسار.. الواقع المستعار»، لتكون الجائزة الثالثة مناصفة بين محمد شريف سلمون من محافظة حمص عن بحثه الموسوم بـ «نحو النهوض لرأب الصدع» وتالد عرابي من محافظة دمشق عن بحثه الموسوم بـ «آليات تحقيق التسامح في سورية».

الجدير ذكره أن الجائزة تتضمن مبالغ نقدية وشهادة تقدير لكل من الفائزين الذين سيتم تكريمهم في وقت لاحق.

في الكتاب امرأة أخرى

ضمن سلسلة الشعر من إصدارات اتحاد الكتاب العرب بدمشق صدر ديوان جديد للأديبة أنيسة عبود حمل عنوان "في الكتاب امرأة أخرى".

في الديوان طاقة من القصائد المتنوعة المفتوحة على فضاءات واسعة مفعمة بالترميز والتخييل والصور المبتكرة العاكسة للحظات الحب والحزن والفرح والألم والاحتجاج

نصوص تراود القارئ وتقحمه في أتون التساؤلات والأحاسيس والدلالات والتأويلات، تتجلى من خلالها ملكات إبداعية أمسكت أنيسة عبود خيوطها بمنتهى البراعة، فاستطاعت قصائد الديوان أن تحلق بأجنحة من نور، لتنتصر للأرض والإنسان والحقيقة...

قم يا بلال

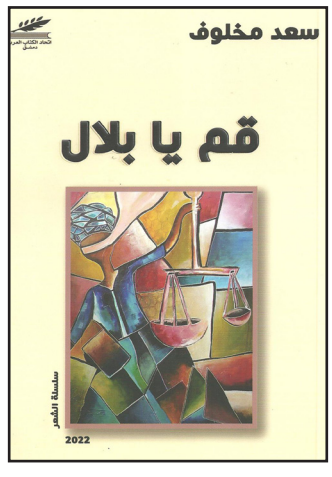

ضمن سلسلة الشعر من إصدارات اتحاد الكتاب العرب بدمشق صدر ديوان جديد للأديب سعد مخلوف حمل عنوان "قم يا بلال".

ضم الديوان مجموعة من القصائد المنتشية بعميق المعنى والخيال، الهائمة في فضاءات من الحب والحزن والفرح والألم والحقيقة والتجذّر بالأرض، طاقة من النصوص التي تكابد لحظات ولادة إبداعية لا تنتهي ...

قصائد كللها سعد مخلوف بتيجان حدودها الأفقُ المفضي إلى روعة الرمز الآسر، تطوق حقول الأحلام ومواكب الألم والأسرار وطقوس الحكايات الغافية على شبابيك الأيام..

نصوص تعامل معها مُبدعها وكأنها ماسٌ ثمين، لا تبرز ألقه إلا أنامل شاعر حقيقي لبى نداء القصيدة، فخطّ مرهف الإحساس كلمات وأبياتاً تشتهي فيها اليقظة روعةَ الحلم..

رئيس الاتحاد: لن نوفر جهداً للنهوض بواقع الاتحاد وأعضائه

اتحاد الكتّاب العرب يعقد مؤتمره السنوي

كتبت: فاتن دعبول

عقد اتحاد الكتاب العرب مؤتمره السنوي بدورته العاشرة تحت شعار «الإبداع مسؤولية وأخلاق» في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق، بحضور كل من الدكتور مهدي دخل الله والدكتور محمد الحوراني رئيس الاتحاد وأعضاء المكتب التنفيذي، وعدد كبير من الكتاب من المحافظات السورية كافة.

وفي كلمته أشاد عضو القيادة المركزية لحزب البعث العربي الاشتراكي، رئيس مكتب الثقافة والإعداد والإعلام الدكتور مهدي دخل الله بعمل الاتحاد خلال عامين، بما تضمنته هذه الفترة من إنجازات ومبادرات والعمل الميداني على أكثر من صعيد، وبيّن أن المجتمع ينقسم إلى فئات ثلاث «فئة المنتجين والخدمات، وفئة المجتمع السياسي، والفئة الثالثة هم الكتّاب والمثقفون» والعمل الأفضل هو للكتّاب لأنهم يعملون على إنارة الطريق لواقع أفضل.

وبيّن عظمة شعبنا على مدى عصور في محاربته للاحتلال والصمود في وجه المؤامرات التي تحاك له، واليوم هناك معركة مهمة تواجه المثقفين وهي التصدي لليبرالية الجديدة، وأول من أعلن الصراع عليها هو السيد الرئيس بشار الأسد في العام 2020 لأنها تمثل الخطر الإيديولوجي الكبير على القيم المجتمعية التي يتحلى بها مجتمعنا.

ويجب على الكتّاب والمثقفين التصدي لليبرالية الجديدة التي تشتد قوتها في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، لخطورتها على الأخلاق وعلى الروابط الأسرية، وجميع مقومات المجتمع المتماسك، ودور الكتّاب أساسي في مواجهتها، وعليه يجب تنظيم حملة تتألف من الكتّاب والإعلاميين لإيجاد سبل لرفع مستوى الوعي لمواجهة اللبرالية الجديدة التي شيئاً فشيئاً تستولي على العقول عبر وسائل التواصل الاجتماعي، والعمل على استخراج الإيجابيات في سلوكنا الثقافي والوطني ومحاربة الفساد.

وأشار إلى أن وسائل التواصل الاجتماعي تلعب أحياناً دوراً سلبياً عندما تستخدم بطريقة خاطئة، لذلك نخشى على أجيالنا من غزو الأفكار الليبرالية الجديدة، وخصوصاً أنها تقدم لأبنائنا بشكل مغر وبلبوس جديد.

وبيّن رئيس اتحاد الكتاب العرب الدكتور محمد الحوراني في كلمته أن محاولات أعداء الإنسانية ورعاة الجهل والتخريب والإرهاب في تخريب الدولة لم تتوقف، لكن إرادة الشعب السوري تزداد صلابة ويقيناً بالقدرة على إفشال المخططات العدوانية التي تستهدف سورية والأمة جمعاء، هذا ولم يتزعزع إيمانهم بقضيتهم المركزية «قضية فلسطين».

ولفت الحوراني في كلمته إلى أهمية دور الأدباء في زرع حب الأرض والتمسك بها في قلوب الأطفال والشباب، حتى غدت جهودهم نهجاً لا يمكن التخلي عنه أو المساومة عليه، محاولاً تأصيل ثقافة الانتماء والأصالة والوطنية النابعة من محبة كبيرة بين أبناء الشعب السوري بمختلف انتماءاته ومكوناته.

وسعى الاتحاد ضمن أعماله إلى تعميق أواصر الأخوة بين الأشقاء العرب، وتوحيد الجهود الثقافية الرامية إلى تجاوز الخلافات ورأب الصدع بينهم، وقد عبّر العرب عن تضامنهم مع سورية باختيارها نائباً للأمين العام للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب بالإجماع.

وبدوره أوضح ما أظهرته الدول العربية من وقفة تضامنية عقب الكارثة الزلزالية التي ضربت سورية، والرغبة الصادقة في تقديم الدعم والعون إلى الشعب السوري وفي كسر الحصار المفروض عليه، وكان الاتحاد سباقاً في الوقوف إلى جانب متضرري الزلزال وتقديم المساعدة لهم حسب الإمكانيات المتاحة.

كما أكد الحوراني أن الاتحاد ممثلاً بمجلسه ومكتبه التنفيذي سعى إلى الارتقاء بالفعل الثقافي والنهوض به على المستويات كافة، ومحاولة ترك بصمات واضحة على مختلف الصعد، لكنها لا تزال في حاجة إلى مزيد من العمل والتفاني بما يليق بمستوى الأدب والفكر والإبداع في وطننا، وبدماء الشهداء الذين أبوا إلا أن يبقى وطننا شامخاً أبياً.

ورغم صعوبة الوضع الاقتصادي والعقوبات الجائرة المفروضة على وطننا، لكن ذلك لم يمنع من الاستمرار في العمل الثقافي وتطويره وتعميم ثقافة الانتماء في مختلف المحافظات السورية، والوصول إلى المناطق النائية في محافظات سورية عدة، هذا إلى جانب الاهتمام بالأطفال والشباب وإطلاق المسابقات والتنسيق مع الاتحادات والنقابات داخلياً وخارجياً بهدف تحقيق مزيد من الفعل الثقافي النهضوي المؤثر.

وأضاف: نحن إذ نعلن تمسكنا بثوابتنا وفي مقدمتها رفض التطبيع بأشكاله جميعاً مع العدو، فإننا نؤكد حرصنا على العمل بما يخدم قضايا أمتنا وفي مقدمتها قضية فلسطين، كما نؤكد دعوتنا إلى ضرورة العمل على تحرير الأراضي السورية المحتلة من العدو الصهيوني ومن الاحتلالين التركي والأميركي.

وطرح بدوره بعض القضايا التي تمس الأعضاء من مثل شروط قبول العضوية أو رفضها، وضرورة الابتعاد عن الأمور التي تسيء إلى لجان القراءة، وخصوصاً تقارير القراء وتقييماتهم.

الأسبوع الأدبي

12

العدد: «1813» الأحد 2023/4/2م
- 11رمضان 1444 هـ

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المديـر المسـؤول:
د.محمد الحوراني
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيـس التحريـر:
أ. توفيق أحمد

مديـر التحريـر:
منيـر خلف

أمينا التحرير:
عيد الدرويش، أوس أحمد أسعد

هيئة التحرير:
طالب هماش - د.جودت إبراهيم -
د.نزار بني المرجة -
معاوية كوجان - محمد الحفري

الإشراف الفني:
نضـال فهيم عيـسى

رئيس القسم الفني:
فاطمة الجابي

للنشر في الأسبوع الأدبي:
يراعى أن تكون المادة:
• غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
• منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
• ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمئة كلمة.
• يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني alesboa2016@hotmail.com
• يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

المراسلات
الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص ب (3230)
هاتف 6117241-6117240 -فاكس 6117244 هاتف الاشتراكات 6117242
جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
www.awu.sy
E-mail : alesboa2016@hotmail.com

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجهة نظر كاتبها

كلمة أخيرة

كتبها: توفيق أحمد

الكلمةُ.. إكسيرُ الحياة

إنها الكلمةُ التي ترتقي بهديرِ نشوتِها
لِتَبْلُغَ الوجوهَ والأمكنةَ
وحتى الأزقَّةَ والحواري
قد تَسْتَقِرُّ بينَ هنا وهناك
وقد تَبْلُغُ سِدْرةً ليس لها مُنْتهَى
هي قَدَرُ الشعراء والبُلغاء وكُلِّ المُبدعين
وهي أيضاً ترانيم العاشقين في كُلِّ ما يفعلونْ
الكلمةُ.. الشِّعْرُ.. يهبط على الروح والندى والأعشاب
قال أحدُ المُفكّرين والشعراءِ العرب:
الشِّعْرُ مِنْ شَفَةِ الرحمن مُقْتَبَسٌ
والشاعرُ الفَذُّ بين الناس رحمنُ
إذاً الكلمةُ هي أَبَدُ المبدع، وأَزَلُهُ
وهي آنُهُ وعوابِرُهُ وخوالِدُهُ
ولعلّها أفيونٌ بارعٌ في الإسعاد
عندما تسري في دمائنا..
تنبضُ في الذاكرةِ فرحاً وشَجاً وأحلاماً
حتى القُبّراتُ تقول كلاماً
حتى الظِّباءُ تُهمهمُ بما يُشبهُ الكلام
صداهُ قريبٌ وغريبٌ وأنيس
يُشبهُ البراري وإناثَ الجمر والشَّهدَ والقصائد
ذوِّبوها في مغاني النشوةِ
اسْتَلُّوها من حدائقكم
اسْتعيدوها مواويلَ للوجع؛ ومواجعَ وجْدٍ،
حرائقَ تستمرُّ على الأشياء
وقد تُحيْلها إلى مواكبَ من زمهرير
مثلما تُحيلُها إلى رمادٍ مستيقظ
زرقةُ الكلمةِ تتدلَّى من سماواتٍ قَصيَّةٍ
تتوالى عناقيدَ مِنْ نجومٍ
نَحترقُ وننتشي بهذيانها
ودَفْقِها العابقِ بنكهةِ مواقِدِ اللهب
مَنْ يَنْزِفُ الآخَرَ
نحنُ أمْ هي؛ في الحضور والغياب؟
تنسربُ إلى خلايا المزاج
وتحترفُ رمْيَهُ في محابرِ القصائد
لا تنتشي الكائناتُ
إلاّ بمرورها عليها
لها أَصواتُها.. ونایاتُها
تَنْهَضُ كما فَلّاحو السهول
لِتَزْرَعَ وتُغنّي وتَمْنَحَ
كما أنها رِداءُ الحكايات؛
هي كفاحٌ وسيرورةُ حياةٍ
هي ليست آخرَ إضاءاتِ الآفاقِ
ولكنها تَشُقُّ دروبَ الظلام
تَحْمِلُ سهاماً من ضوء
وتُعيدُ النورَ إلى حَلَباتِهِ كُلّما كَبَت فُرْسانُهُ..
الكلمةُ نَهَضَتْ
لِيَتَدَفَّأَ اليُتْمُ بالحنان
وتَرمي القَتَلةَ بشرورِ غباواتهم
الشِّعرُ سفينةٌ لا تُذلُّها البحارُ الهائجةُ
والكلمةُ لا تموتُ في الأزمنةِ الكالحةِ
إنها تُحطِّمُ قبّعاتِ سلاطينِ الظلام
وترتقي بالفصول إلى عطاءاتها غيرِ الخَجولة
الكلمةُ لا تُصبحُ عجوزاً؛ والشِّعْرُ كذلك
هي لا تحتاجُ أحداً
إنها ترسُمُ مُسْتَقْبَلَها من ثِمارِ الأزمنةِ
هيَ التي صاغَتْ أساطيرَ الغرام
وأساطيرَ السلامِ والحروب أيضاً
وهي التي ركّبتِ العُروشَ الأرضيّةَ على كراسٍ من أوهامٍ
الكلمةُ كبرياءٌ وتعبيرٌ ورقْصٌ وصمْتٌ
ودموعٌ منهمرةٌ على خدودِ الأيام
إنها لا تُحِبُّ البَلاداتِ
بل تصنَعُ أغاني الحياةِ وأناشيدَها
إنّها انْفِجارٌ دائمٌ
لا تستطيعُ العُلومُ الحديثةُ ولا الجيوشُ رَدْعَهُ
عن قَوْلِ كُلِّ ما يَجبُ أَنْ يُقالَ
ورسْمِ كلِّ ما يجبُ أن يُرسَمَ
وبذلكَ تُبْعِدُ الطُّغيانَ والطُّغاةَ إلى أبعدِ مدى
قَدْ يزورُ بساتينَها ذُبولٌ وغبارٌ
ولكنَّها هي لؤلؤةُ المنارات والورودُ والأنهارُ
تَتْعَبُ الرياحُ عندما تواجِهُ كلاماً مُقَدَّساً
فتتحولُ إلى نسائمَ
تذرو خصوبَتها على مروج الحياة
الكلمةُ البَدْءُ؛ العقْلُ؛ الرَّشادُ؛ الإشراقُ
هي المُبتغى لكُلِّ رسالةِ حُبٍّ وخَير
والأماني التي تَسْكُنُ الأثوابَ
والأحلامُ التي تتطلَّعُ إلى الحرّياتِ وإقصاءِ الرُّعْبِ..
ولعلَّها ضيافةُ الروح لكلِّ كؤوسِ الحياة
المليئةِ بالفرحِ اللاهبِ
والحُبِّ الذي يَفيضُ على الوجوهِ ليلَ نهار